خليل الرحمن العربية

مدينة لها تاريخ

تأليف
الدكتور يونس عمرو
عميد البحث العلمي
في
جامعة الخليل

الطبعة الثانية

١٥ جمادى الاولى ١٤٠٧هـ ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧م

منشورات مركز البحث العلمي في جامعة الخليل

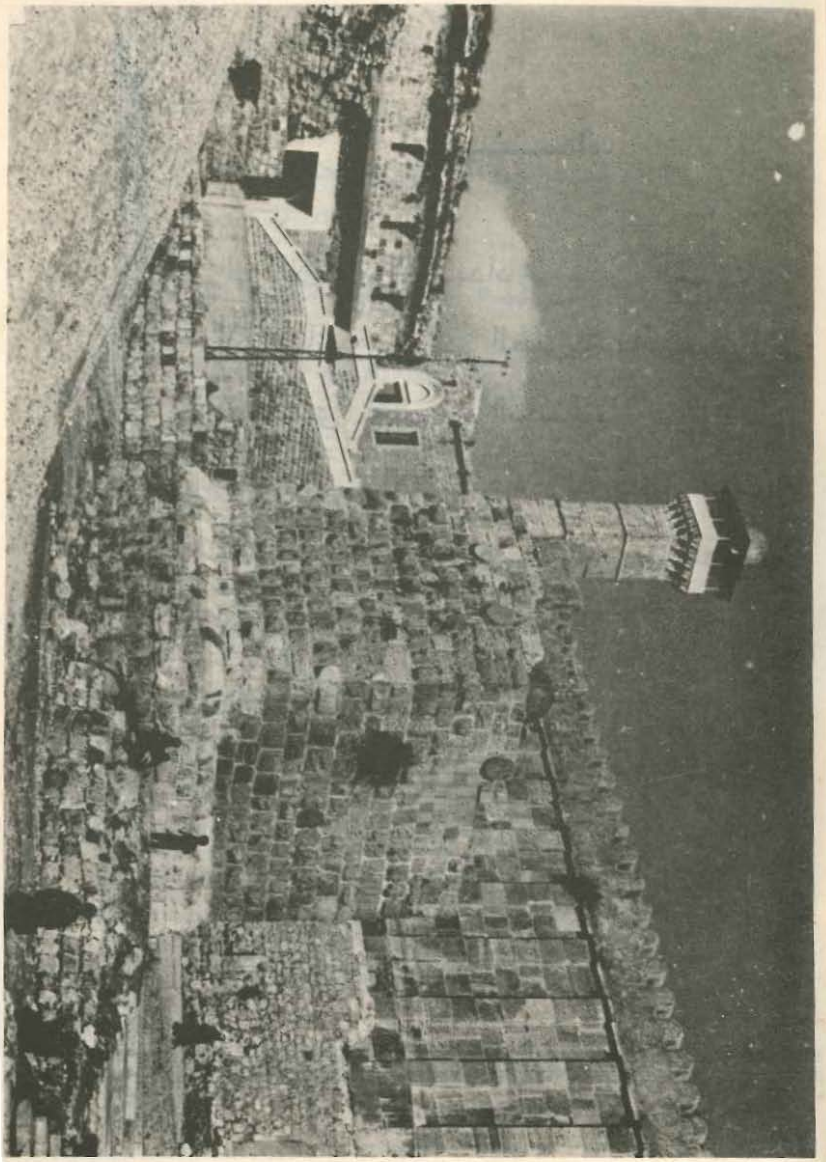

HEBRON UNIVERSITY
RESEARCH CENTER

THE ARAB CITY OF KHALIL AL RAHMAN

BY

DR. YOUNIS AMR

January 1987

بسم الله الرحمن الرحيم

« واتخذ الله ابراهيم خليلا »

(قرآن كريم)

خليل الرحمن العربية

اهـــــــداء

الى الآباء والاجـداد ، مـن العـرب الكنعـانيين ، الى العـرب المسلمـين . أهـدي هـذا البحـث ، أولئـك الآبـاء والاجـداد الذين بنـوا مدينتي . مدينـة حـبرون بل مدينـة الخليـل وعمروهـا ، ومـا غـادروها يومـا حـتى أورثـونا اياهـا .

فمن جيـل الى جيـل تحمـل

ذكراهم . والى الابد .

المـؤلف

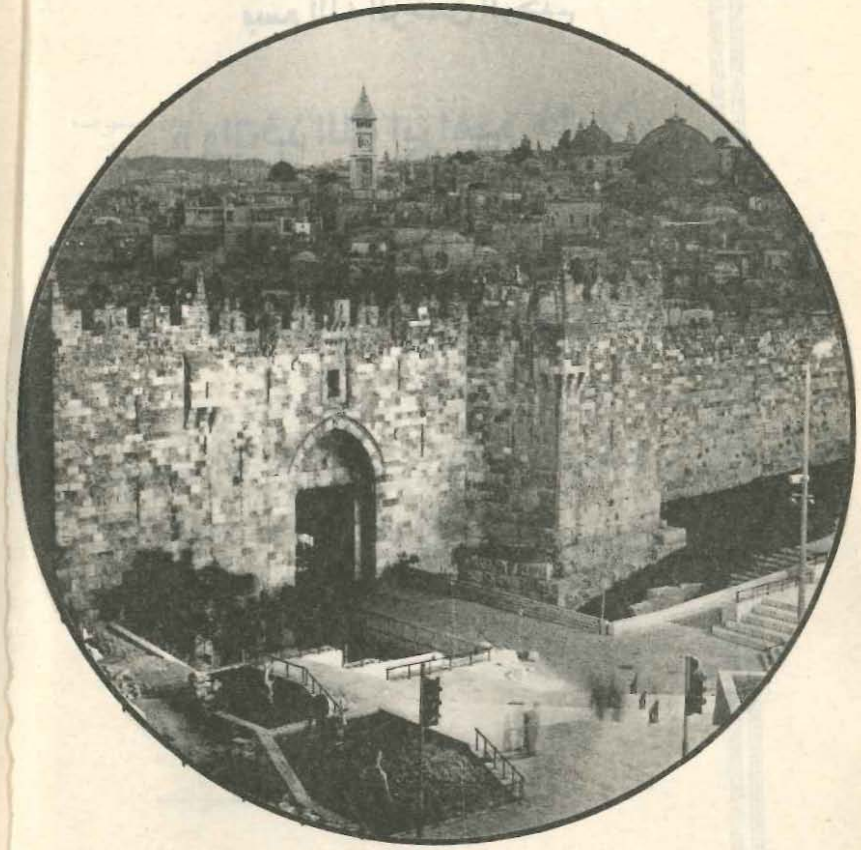

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـــــــر :

جميل ان يكون للانسان وطن يعيش فيه متنسما ريح الاباء والاجداد ، وجميل أن ينتسب ذلك الانسان الى ذلك الوطن الذي درج طفلا على ثراه ، ينشأ و يترعرع في أحضان سهوله ووديانه ، على شواطىء بحره وانهاره ، يرقى الى قمم تلاله وجباله ، ينظر الى الافق البعيد ، تداعب وجهه نسمات مختلفات الاريج ، تأتي وكل نسمة تحمل معها حكاية من ذكريات ماضي الوطن البعيد ، ذكريات التاريخ القديم بما خلد لنا من آثار الحضارات العتيقة ، كل أثر منها يحكي حكاية وأخرى ، كلها تقول : أنا من خلد الاجداد ، ذكريات الرجال وما سطروا من خالد الاعمال وعظيم الاثر في سجلات التاريخ ، تنقلها لنا نقوش حجرية ، أو نصوص كتابية او روايات شفوية ، ذكريات الهية ، سطرتها حروف مقدسة حملت لنا أقدس المعاني بصحبة النبوة والانبياء جيلا بعد جيل . ذكريات الجهاد والشهادة تخاطبنا بها حبات التراب التي ارتوت بدماء عزيزة ، بذلها اجداد وآباء واخوان على ساحات الارض دفاعا عنها واعلاء لكلمة الله عز وجل .

ما اجمل مثل هذا الوطن ولا أغلى ، و يرحم الله شوقي القائل :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

هذا وطني ، ناهيك عن مدينتي التي ينازعني فيها المنازعون ، المدينة

التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ البعيد ، الى ما يزيد على الستة الاف عام من عمر الزمن ، ومنذ انشاها وسكنها أجدادنا من العرب الكنعانيين ، وهي تواكب الحرب والسلام على فترات مختلفة عبر التاريخ ، واهلها الشرعيون يتشبثون بها لا يبرحون سكناها ، يزرعون و يفلحون ، يبنون و يصنعون حتى في أحلك الفترات التي مرت بتاريخها ، فقد تعاقب الغزاة والطامعون يهاجمونها والاهل يدفعون عنها غائلة العدوان ما وسعهم جهدهم وما مكنتهم قوتهم ، فالحرب سجال الغلبة والهزيمة ، والمدينة يمر بها الغزاة منهم من يرتد عنها خاسراً ، ومن تتهيأ له الغلبة فيها الى حين قصير او طو يل ، واهلها فيها لا يبرحون ، تشهد عليهم الاثار المتناثرة في جنبات المدينة هنا وهناك ، فضلا عن شهادات الاعداء انفسهم في النصوص والروايات

ان الخليل مدينة عربية من بلادنا فلسطين ، رغم ما ذهب اليه البعض من الباحثين ، ممن نسبوها الى فلان او فلان ، مثل الاثري الباحث «هموند» الذي أجرى حفريات جزئية في المدينة كشفت له عن تاريخها العربي الكنعاني ، ورغم ذلك نراه يتحيز في نشر نتائج بحثه حين يضعها تحت عنوان «حبرون القديمة مدينة داود» (Ancient HEBRON the City of David) مع ان داود و باعتراف المصادر كافة ، و باعتراف «هموند» نفسه لم تزد اقامته فيها على سبع سنوات ونصف ، تلك الاقامة التي لا يقوم دليل عملي عليها الا ما ورد في نصوص العهد القديم مما لا يشكل مرتكزا علميا لمثل هذه النسبة لمدينة عمرها بالطول الذي ذكرنا ، بالنظر للفترة القصيرة جداً لاقامة «داود» فيها – ان صحت – مما يدعو الى الاستهجان الذي ادى بي الى كتابة هذا البحث ، عزما مني على وضع الادلة القاطعة التي

تثبت عروبة المدينة واسلاميتها منذ نشأتها والى يومنا هذا ، واجتهدت ما وسعني البحث وادواته المتوفرة – على قلتها – أن تكون هذه الادلة شاملة شافية ، مؤثراً الايجاز دون الاطناب ، مركزاً على النواحي اللغوية بقدر الامكان ، ليكون هذا منهلا قريبا مختصراً ، يقطف القارىء ثمرته بأدنى جهد وأقل وقت .

لما كانت مدينة خليل الرحمن ، ثانية أقدس المدن الفلسطينية بعد مدينة القدس الشريف ، بل من أقدس مدن العالمين الاسلامي والمسيحي على حد سواء ، ونظراً لما تناقلته المصادر المختلفة ومنها ما هو معاد للتراث الاسلامي والعربي على الوجه الخاص أثرت أن اقدم لبحثي هذا بمقالة في تسمية فلسطين بهذا الاسم ، ذلك الاسم الذي تضافرت جهود مختلفة – منها عن علم ومنها عن غير علم – على طمس اصالته اللغوية العريقة في تاريخ بلادنا ، كاسم كنعاني سامي ، انبثق من لغة البلاد المحلية ، كعلم على سكانها الاصليين خلافا للادعاء الرائج الذي لا اساس له ، غير الادعاء المغرض ، ذلك الذي مفاده ، أن هذا الاسم يوناني اطلق على اناس يونانيين ، هاجروا من بلادهم وسكنوا بلادنا ، ولعل ترويج هذا الادعاء انما يقصد من ورائه زعزعة اصالة هذه التسمية لهذه البلاد ، بقدر زعزعة اصالة سكانها . وهذا ما سنبينه في الآتي .

المقدمـــــــة

فلسطيـــــن

(أصل اللفظ ومعناه)

* * * * *

فلسطين « أصل اللفظ ومعناه » :

كثيرة هي المراجع ككثرة القائلين بأن تسمية فلسطين بهذا الاسم ، انما ترجع الى اللغة اليونانية نسبة الى جماعات يونانية هاجرت من جزيرة «كريت» بزعامة شخص يدعى «فليستا» ، تلك الجماعات التي استوطنت جزءاً من الشريط الساحلي لفلسطين جنوبا ، وقبل الحديث حول هذه التسمية ، لابد من التوقف عند التسمية الاولى لهذه البلاد ، الا وهي ارض كنعان .

لقد خرجت موجات الهجرة السامية العربية الاولى من أرض الجزيرة العربية بفعل أحوال الجفاف والتصحر التي حلت بالبلاد ، متجهة الى الشمال نحو الهلال الخصيب ، بما فيه بلادنا فلسطين ، وحسب نتائج مختلف البحوث ، فقد انحصرت هذه الموجات ، في الفترة الزمنية من ٤٠٠٠ ـ ١٥٠٠ق.م. وللوهلة الاولى التي قدر لهؤلاء المهاجرين العرب ، من الاستيطان والاقامة في بلادنا ، ومراعاة لطبيعتها الطبوغرافية المنخفضة بالقياس الى سائر بلاد الشام ، سموها بأرض كنعان اي الارض المنخفضة ، والاسم «كنعان» هذا ، ولدى تتبع اصوله اللغوية ، نلاحظ انه اسم سامي قديم يوجد في معظم اللغات السامية ، وما زال في البعض منها وباشتقاقات ودلالات مختلفة ، وخاصة في اللغة العربية ، فنرى الفعل المجرد «كنع» بمعنى انقبض وانضم ، ومنه الارض الكانعة بمعنى الارض المنخفضة ، وهذا يدل على اصالة هذه التسمية في اطلاقها على الارض وعلى اهلها ، هذا بغض النظر عما جاء في بعض المصادر من ان الاسم «كنعان» ، انما هو اسم لاحد ابناء «سام بن نوح» جد الكنعانيين ، مما لا يقوم عليه دليل قاطع .

بنظرة عابرة الى الاسم فلسطين ، التي عرفت به البلاد الى جانب اسمها القديم ـ ارض كنعان ـ و بصور هذا الاسم المختلفة التي درجت على مختلف الالسن ، نرى القائلين كافة برده الى الاصول اليونانية ، قد استندوا في رأيهم الى العهد القديم في البعض من رواياته ونصوصه(١) . تلك النصوص التي بقيت الى اواخر القرن الماضي ، واوائل القرن الحالي ، المصدر الذي يكاد يكون وحيداً للتاريخ القديم لهذه البلاد وشعوبها ، وحضاراتها المختلفة ، وذلك الى ان تقدمت وازدهرت الدراسات التاريخية الحديثة ، التي اعتمدت في نتائجها على الحفريات والآثار والنقوش ، مما أدى الى اعادة النظر في الكثير مما جاء في هذا الكتاب من تسميات وآراء ومواقف . من خلال نصوص مبهمة ، فسر الكثير منها على صور تجانب الصواب ومن غير اقامة دليل قاطع على التفسير .

وعليه ، فقد كان هناك اقحام لبعض هذه النصوص في تحميلها اكثر مما تحتمل ، في كثير من الاحيان ، بالاعتماد على التكهنات والتصورات التي ادت الى مجازفات اعتمدت في الغالب ، أما على نوايا بيتت اصلا لاغراض معينة ، أو على افكار من نمط خاص ، وهذا في حد ذاته ، ربما كان من الاسباب التي أدت ببعض العلماء والباحثين المحدثين الى توجيه عبارات من النقد اللاذع ، التي تصل أحيانا الى حد القسوة على هذه النصوص ، ومن هؤلاء «السير جيمس جورج فريزر» في كتابه «الفولكلور في العهد القديم» ، «وهومر سميث» في كتابه «الانسان والاديان» ، وغيرهما . ولسنا هنا بصدد الاطناب في ذلك ، وما يعنينا هو الاسم «فلسطين» هذا الاسم الذي عرفت به هذه البقعة التي تقع على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط في الجنوب الغربي لبلاد الشام .

منذ فجر التاريخ ، و بصورة باتت ثابتة ، عرف ان بلاد الشام ومنها فلسطين ، انما هي جزء من بلاد الساميين ، وعلى مر العصور توطنتها قبائل هاجرت من الجزيرة العربية . ومن خلال دراسة لهذا الاسم «فلسطين» حسب الخصائص اللغوية للغة السامية الام ، التي انشعبت منها اللهجات السامية التي تحدث بها اهل هذه البلاد ، يمكننا القاء الضوء على هذا الاسم ، فمن خلال تعابير النصوص في العهد القديم ، نقف على بنية ، بل صورة هذا الاسم «فِلِشْتِيمْ» ـ بلفظ الفاء لفظا ثقيلا حسب نسق الصوت الكنعاني اليهودي القديم ، الذي ما زالت العبرية الحديثة تحتفظ به الى يومنا هذا ، فحرف الفاء في أول الكلمة او بعد سكون ثابت ، يلفظ على صورة الحرف الانكليزي «P» ـ وعند عرض هذا الاسم على نظام بنية الكلمة في اللغة العبرية التي تعتبر تطوراً طبيعيا للغة الكنعانية ، لغة بلادنا الاولى ، التي تحدث بها الاجداد الاوائل قبل مجيء ابراهيم عليه السلام واستقراره ونسله فيها ، ـ عند عرض هذا الاسم ـ نرى انه صيغة الجمع المختتمة بالياء والميم والتي تختص بالمذكر ، هذه الصيغة بعينها التي تعتبر من أقدم صيغ الجمع السامية المشتركة ، والتي تقابلها صيغة جمع المذكر السالم في اللغة العربية بالواو ، او الياء والنون رفعا ، او نصبا وجراً ، هذا الى جانب ما هو معروف من اتحاد الميم والنون من حيث المخرج مما يجعل امكانية احلال احدهما مكان الآخر امراً طبيعيا ، وذلك امثلته كثيرة باللغة العربية حسب نواميس علم الصرف ، مما يعرف بالابدال كما في «امتقع لونه وانتقع لونه» ، وعليه فيكون الاسم «فِلِشْتِيمْ» صيغة جمع له مفرد من لفظه ، وهو الاسم «فِلِشْتْ» بمعنى فلاح ، او من يعزق الارض و يحرثها ، ولدى عرض هذا الاسم على سلم الاشتقاق نرى انه مشتق

من المادة الثلاثية المجردة «فلش» بالعبرية « פלש » وبالارامية « פלש » بمعنى حفر حفرة او تمرغ في التراب ، وقد ورد استعمال هذه المادة وصيغتها المزيدة في مواضع مختلفة من نصوص العهد القديم ، مما يدل على وجودها قيد الاستعمال في العبرية الكنعانية القديمة تماما كما في العبرية الحديثة ، فضلا عن الارامية ، واثباتا لذلك نذكر بعضا من هذه النصوص : «لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء ، تمرغت في التراب « בְּבֵית הָפְרָעָה הִתְפַּלָּשְׁתִי » «ميخا ١/١٠» . «يا ابنة شعبي تنطقي بمسح وتمرغي في الرماد « הִתְפַּלָּשִׁי בְּאֵפֶר » «ارميا من الفقرة ، ٦/٢٦» . «ولولوا ايها الرعاة واصرخوا وتمرغوا « הִתְפַּלָּשׁוּ » يا رؤساء الغنم ...» «ارميا من الفقرة ، ٢٥/٣٤» اما عن وجود هذه المادة في اللغة العربية ، فنلاحظ ان شيئا من التغيير ينتابها ، سواء من حيث التلفظ الصوتي او من حيث الدلالة ، فهي بلفظ «فنس» ومنها «الفنس» بمعنى الفقر المدقع ولا غرابة في اتحاد الصورتين بالبدء بحرف الفاء ، ثم احلال النون مكان اللام والسين مكان الشين ، فالنون واللام حرفان مخرجهما واحد ، وطبيعي ان يحل احدهما محل الاخر ، حسب نواميس علم العربية ، وذلك من جواز قولك : «ليل حانك وليل حالك» اي ليل شديد الظلمة . واما السين والشين فلا غرابة في ان يحل احدهما محل الاخر لاتحادهما اصلا . وذلك بأن الشين اعجام للسين ، و يجوز التلفظ باحدهما بدلا من الاخر ، و يبدو ذلك اكثر ما يبدو في كلام العوام على وجه الخصوص ، من ناطقي العربية قديما وحديثا ، كأن تسمع بعضهم يقول : الشمس والسمس والشمش ، وكله صحيح لفظا و يبين عن دلالته . اما عن دلالة هذه المادة «فنس» من معنى الفقر المدقع كما مر ، فانها

من الدلالات المجردة لهذه المادة ، وذلك لما هو معروف من ارتباط الفقر بالتراب ، ومن هذا يقال : «فلان ترب اليدين» اي انه فقير لا يملك شيئا الا التمرغ في التراب .

ما سبق ذكره حول هذه المادة اللغوية السامية ودلالاتها ، ينحصر في الدلالة العامة ، ومن خلال تتبع الاشتقاقات المختلفة في العبرية والارامية بشكل خاص ، نرى انها كثيرة منها ما يدور حول عزق الارض وحرثها ، وخاصة في اللهجة الكنعانية اليهودية ، التي تعتبر لهجة السكان المحليين الاوائل لهذه البلاد في عصر ما قبل ابراهيم عليه السلام ، وعصر ما قبل التوراة ، هذا و بالالتفات الى اشتقاقات هذه المادة في العبرية الحديثة ، نرى انها توجد بدلالات اخرى ، كطعن وخرق وقتل ، ولعل هذه الدلالات بما لها من ارتباط وثيق الصلة بالدلالات القديمة من الحفر والعزق والتمرغ في التراب ، نراها قد تأثرت والى حد بعيد بما جاء في نصوص العهد القديم ، من الاشارة الى الفلسطينيين وجبروتهم في حربهم لبني اسرائيل على ايام القضاة والملوك وخاصة ايام شاؤول وداود ، ولعل من اكثر اسفار التوراة تعرضا لملاحم الفلسطينيين سفر صموئيل الاول وصموئيل الثاني ، ونذكر هذا النص من سفر صموئيل الاول «الاصحاح الحادي والثلاثون» دليلا على ما ذكرنا .

«وحارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب رجال اسرائيل من امام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع(٢) . فشد الفلسطينيون وراء شاؤول و بنيه وضرب الفلسطينيون يوناثان وابيناداب وملكيشوع ابناء شاؤول . واشتدت الحرب على شاؤول فاصابه الرماة ، رجال القسي فانجرح جدا من الرماة . فقال شاؤول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لئلا ياتي هؤلاء الغلف(٣) و يطعنوني و يقبحوني(٤) . فلم

يشأ حامل سلاحه لانه خاف جدا فأخذ شاؤول السيف وسقط عليه . ولما رأى حامل سلاحه ان شاؤول قد مات سقط هو أيضا على سيفه ومات معه . مات شاؤول و بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا . ولما رأى رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الاردن ان رجال اسرائيل قد هربوا وان شاؤول و بنيه قد ماتوا ، تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها . وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاؤول و بنيه الثلاثة ساقطين في جبل جلبوع فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وارسلوا الى ارض الفلسطينيين في كل جهة لاجل التبشير في بيت اصنامهم وفي الشعب . ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت(*) وسمروا جسده على سور بيت شان»(٦)

ان الذي يتمعن هذا النص ، فضلا عن غيره من نصوص العهد القديم ، يدرك دون ادنى جهد ، طبيعة العلاقة التي كانت بين الفلسطينيين واسرائيل ، من الصراع المرير والحروب التي لا تهدأ ، والتي كانت تجر الويلات والكوارث على بني اسرائيل ، فشاؤول الذي قتل هو وابناؤه على ايدي الفلسطينيين حسبما ورد في النص ، هو ملك الاسرائيليين ، وهو الملك الذي خلفه داود على عرش اسرائيل بعدما تغلب على جالوت ملك الفلسطينيين ، ذلك الرجل الذي كان ذا بأس شديد على بني اسرائيل في حربه معهم وقد أوردت نصوص العهد القديم الكثير عن شدة بأسه : «ومد داود يده الى الكنف واخذ منه حجراً ورماه بالمقلاع وضرب الفلسطيني في جبهته وسقط على وجهه الى الارض . فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر وضرب الفلسطيني وقتله ... فلما رأى الفلسطينيون ان جبارهم قد مات هربوا»(٧)

و بعد ، فاننا يمكن أن نخلص الى القول بأن الاسم فلسطين انما هو علم على سكان بلادنا المحليين وعلى بلادهم ، وهو اسم اصيل اطلقوه

على أنفسهم من واقع لغتهم ، أولئك السكان الذين كانوا يعملون في الزراعة في وسط فلسطين ، ولا نجانب الصواب ان حددنا موقع سكناهم ، بالسهل الزراعي الاوسط من فلسطين ، والذي يمتد عبر المثلث الاوسط من أراضيها فيما بين طبرية فالكرمل من ناحية الشمال ، ثم ينحدر ليشكل رأسا لذلك المثلث جنوبا على أطراف صحراء النقب ، ولعل خير شهادة يمكن ان نوردها على اشتغال الفلسطينيين بالزراعة ، ما جاء في العهد القديم نفسه في اكثر من موضوع ، نكتفي عليه بالنص التالي : «ثم اضرم المشاعل ناراً واطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الاكداس والزرع وكروم الزيتون»(٨) .

لعلنا بما سبق ، قد اوردنا ما يثبت ان الفلسطينيين هم من الكنعانيين سكان البلاد المحليين ، وذلك من خلال اسم بلادهم «فلسطين» ذلك الاسم السامي ، الذي ثبتت ساميته حين عرض على المستويات اللغوية المختلفة للنسق اللغوي السامي ، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، فتمشى معها تماما ، مع اننا لو عرضنا هذا الاسم على اللغة اليونانية ، فلسوف نرى انه لن يجد مكانا ضمن انساقها اللغوية كما رأيناه في ساميته ، مما لايدع مجالا للشك في تلك السامية الاصيلة لذلك الاسم ، هذا بالاضافة الى عدم امكانية تقارب بين السامية واليونانية بحال ، لما نعرف من اختلاف كل من اللغتين في اصولهما ، بانتماء كل واحدة منهما الى عائلة لغوية تفارق الاخرى وتغايرها تماما ، ولو افترضنا جدلا يونانية هذا الاسم ، لالفيناه اسما دخيلا وحيداً في اللغة السامية ، ولوجدناه لفظا يعيش في اللغة السامية هذه او تلك من الشقيقات الساميات كلفظ دخيل جامد ، كتلك الالفاظ الدخيلة الكثيرة التي نراها منذ دخلت الى لغاتنا السامية جامدة على حالها يوم دخلت اول مرة ، سواء من حيث المبنى او من حيث المعنى .

الى جانب هذا الدليل اللغوي على اصالة فلسطين والفلسطينيين ، بقيت لنا كلمة حول المكان الذي حدده الادعاء بيونانية الاسم فلسطين ، واهله لسكناهم في هذه البلاد ، انه كان في الساحل الجنوبي لفلسطين على البحر المتوسط جنوبي منطقة يافا(٩) ، نقول : إن نصوص العهد القديم نفسها والتي ذكرت بالتفصيل حرب الاسرائيليين مع الفلسطينيين ، ما ذكرت موقعا واحداً في تلك المنطقة جنوبا ، بل إن هذه الحروب قد حدثت كلها في الشمال في مواقع مختلفة ، انحصرت غالبيتها حول منطقة بحيرة طبرية ومدينة بيسان ، بل في اطراف سهل مرج ابن عامر الشرقية بالذات حيث تقع العين التي تعرف «بعين جالود» اليوم ، وهو جالوت او جوليات زعيم الفلسطينيين وملكهم الذي قاسى منه الاسرائيليون الى ان تغلب عليه داود عليه السلام ، ذلك الملك الذي ما اقتصر ذكره على العهد القديم كنص مقدس عند اليهود فحسب ، بل ذكر ايضا في القرآن الكريم في معرض ذكره لداود عليه السلام «فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك»(١٠)

فبالاضافة الى النص الذي ذكرناه(١١) من نصوص العهد القديم حول هذه المواقع نذكر النص التالي : «وجمع الفلسطينيون جميع جيوشهم الى افيق(١٢) ، وكان الاسرائيليون نازلين على العين(١٣) التي في يزرعئيل(١٤) . وعبر اقطاب الفلسطينيين مئات والوفا وعبر داود ورجاله في الساقة مع «أخيش»(١٥) «٢٩/٢،١ من سفر صموئيل الاول» .

لعلنا بهذا نكون قد وضعنا الحقيقة موضعا نرجو ان نكون معها على صواب ولعل ما اوردناه من البيان ، يكون حافزاً لابناء العروبة والاسلام للبحث ، كي تتضافر الجهود لدحض الاقاويل والادعاءات التي لفت تاريخ بلادنا قديما ، مما لم يسترع انتباهنا فكنا فيه عالة على غيرنا بل على من هم ليسوا مؤتمنين على هذا التاريخ .

حبرون ام خليل الرحمن

* * * * *

حبرون ام خليل الرحمن

* * * * *

المدينة ، من والى ايـــن ؟ :

ثبت في بحوث ودراسات كثيرة ، اعتمدت على النقوش والحفريات واشارات في ثنايا نص التوراة ، ان مدينة الخليل تعتبر واحدة من اقدم مدن فلسطين بل من أقدم مدن العالم في نشأتها الاولى ، وان سكانها الاوائل كانوا من العرب الكنعانيين(١٦) الذين ينحدرون من الصلب السامي والذين هاجروا من الجزيرة العربية ، ضمن موجات الهجرة الاولى عبر التاريخ «٤٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م» .

لقد اختلفت الاراء حول التسمية الاولى لهذه المدينة «قرية اربع» من حيث سبب هذه التسمية ، فمن قائل انها بنيت على اربعة جبال ، ومن قائل انها كانت حسب تنظيم المدن السامية قديما بحيث كانت المدن تقسم الى اربعة ارباع ، ذلك النظام الذي اخذ به الاشوريون فقسمت على نمطه مدينة بابل ، ثم الاراميون بحيث قسمت على النمط نفسه مدينة حلب . وهناك من ذهب الى أن سبب تسمية هذه المدينة بهذا الاسم هو نسبتها الى «اربع» تلك الشخصية الكنعانية التي زعم انها كانت لوالد «عناق» زعيم العماليق من الكنعانيين الذين سكنوا جنوب فلسطين واشتهروا بشدة بأسهم ، بل انهم غلبت عليهم نسبتهم الى عناق هذا ، فعرفوا في التاريخ بالعناقيين ، والقائلون بهذا انما ذهبوا الى ان «اربع» المذكور كان اول من بنى المدينة وسكنها . ثم ان هناك

رأي آخر لعله الراي الذي نميل الى الاخذ به ، بغض النظر عن التعرض لاراء السابقة الذكر ، مفاده ان «اربع» قبائل كنعانية سكنت انحاء المدينة(١٧) ...

ثم توحدت هذه القبائل ، فشكلت مجتمعا محليا موحدا من خلال نظام حكم معين ، فقد اثبتت الحفائر ان مقر ذلك الحكم كان على جبل الرميده ـ كما هو معروف اليوم ـ المقابل للحرم الابراهيمي الشريف من الناحية الجنوبية الغربية. بعد هذا التوحد سميت المدينة باسمها الشهير والمعروف «حبرون» ، هذه التسمية التي يحاول الكثيرون من باحثينا العرب والمسلمين استبعادها او السكوت عنها ، متذرعين بأحد عذرين ، او بكليهما معا ، الاول ، ان ما قبل الاسلام يجب الا يلتفت اليه في غالبية ما يتعلق بالعرب و بلادهم ، ولعل هذا العذر مقبول في حدود معينة لا تتعدى نطاق الدين الاسلامي وشريعته ، ذلك الدين الذي يوم ان حمل العرب لواءه ، نسوا ، او تناسوا كل ما علق بأذهانهم من الماضي . اما العذر الثاني ، فقد كان بسبب وهم من هؤلاء الباحثين او من بعضهم ، لف هذه التسمية مفاده انها ترجع الى اللغة العبرية ، وترتبط الى حد ما بالتراث الاسرائيلي ، بل انها تسمية يهودية محضة ، وهذا ما سنوضحه بل سنثبت عدم استناده الى واقع علمي صحيح .

لقد ثبت في معرض استعراضنا للاسم «حبرون» انه ذكر على صور مختلفة منها «حبرى» و «حبران» ، وقبل الحديث عن هذه الصور وكيف تغايرت تسمية المدينة من واحدة الى أخرى فان من المفيد الرجوع الى اصل هذا الاسم واشتقاقه ودلالته في اللغة الكنعانية . ثم الوقوف على ذلك الاصل ومدى وجوده وانتشاره في اللغات السامية بشكل عام .

لعل من الاهمية بمكان ، وقبل الخوض في الحديث حول الاسم

«حبرون» في أصول اللغة ، ان نتوقف عند اللغة العبرية ، فنبين تاريخها ومكانتها بين الشقيقات الساميات ، على اعتبار ثابت ، انها لغة سامية ، فاللغة العبرية ما هي في الاصل الا اللغة الكنعانية ، اتخذها بنو اسرائيل لغة لهم على ايام ابراهيم وابنائه ، ثم توطدت على السنة ابناء يعقوب قبل رحيلهم الى مصر ، حتى صارت لغتهم المقدسة يوم نزلت بها التوراة على «موسى» عليه السلام في سيناء ، هذا خلافا لما استبعده «اسرائيل ولفنسون» حيث يقول : «ونريد ان نقرر ما اشرنا اليه من قبل في البحث عن نشأة اللغة الكنعانية فنذكر ان بعض المستشرقين كانوا يطلقون على العبرية والارامية الاصطلاح «لهجتي اللغة الكنعانية» وهو خطأ صريح لا اصل له من الصحة لان العبريين من بني اسرائيل وغيرهم قد جاؤوا بلغتهم من موطنهم الاصلي ولم يقتبسوها من الكنعانيين بعد اتصالهم بهم فليس يصح اذا ان يقال عن اللغة العبرية انها فرع من الكنعانية او انها لهجة كنعانية وكل ما يمكن ان يقال في هذا الشأن انما هو ان اللغة العبرية واللغة الكنعانية كانتا لغة واحدة لهجت بها تلك الامم التي كانت تسكن فلسطين وطور سيناء في مدى قرون معينة فلما تفرقت تلك الامم وتباعدت اختلفت لهجاتها وتميزت فكانت احداهما العبرية وكانت الاخرى الكنعانية وذلك سبب التشابه بين هاتين اللغتين»(١٨) .

انه لواضح ما في هذا القول من الخلط والتشويش ، وذلك حين نلاحظ ان «اسرائيل ولفنسون» يقرران بني اسرائيل والكنعانيين كشعبين منفصلين ، قد عاشا في فلسطين وفي طور سيناء في فترة واحدة من حيث الزمن ، وكان لكل شعب لغته ، وهذا ما يجانب الصواب تماما بالنظر لما نعرفه وتقرره التوراة نفسها من ان بني اسرائيل هم نسل

يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ، وارتبطت اقامتهم في فلسطين بعد مجيء سيدنا ابراهيم عليه السلام اليها في حوالي المائة الثامنة عشرة قبل الميلاد من «اور» جنوبي «العراق» ، وهي بلاد انتشرت فيها اللغة البابلية الاشورية وهي لابد ان تكون لغة ابراهيم عليه السلام يوم خرج بها متوجها الى ارض فلسطين اول مرة ، ولا بد ايضا ان يكون قد احتفظ بها هو واهله كلغة خطاب بيتي — على الاقل — لمدة زمنية لا يعلمها الا الله ، الى ان انتهت على السنة نسله ، لما اجبروا على تعلمه من اللغة الكنعانية التي كانت منتشرة في فلسطين في تلك الفترة ، على السنة اصحاب البلاد المحليين ، من اهل كنعان ، اولئك السكان الذين كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل عهد ابراهيم ونسله بزمن طويل ، وهذا ما تذكره لنا نصوص العهد القديم ، وخلافا لما يذكره «اسرائيل ولفنسون» نفسه في كتابه «تاريخ اللغات السامية» من ان بني اسرائيل جاؤوا بلغتهم العبرية من الجزيرة العربية(١٩) ، مما لا يقوم عليه دليل ابداً لما نعرفه من عدم وجود لهؤلاء القوم من بني اسرائيل من حيث النشأة في الجزيرة العربية ، بل ارتبطت نشأة هذه الاسرة بيعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام في ارض فلسطين التي عاشوا فيها بين ظهراني الكنعانيين يتحدثون لغتهم الكنعانية ، الى ان ذهبوا الى مصر بصحبة يوسف عليه السلام ، و يعقوب هذا عليه السلام هو المسمى باسرائيل تلك التسمية التي عرف بها اثر حادثة تذكرها التوراة بشيء من الغموض والتشويش على طريقتها في التعبير في كثير من المواضع المبهمة ، خاصة في مثل هذه الحكاية التي يصارع فيها مخلوق ربه ، والنص : «وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر. فقال لا اطلقك ان لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب . فقال لا

يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس، وقدرت . وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك»(٢٠) .

اما ما ذكره «اسرائيل ولفنسون» فيما اوردنا له من القول السابق من ان بني اسرائيل والكنعانيين قد عاشوا في طور سيناء فهو قول عار عن الاستناد الى دليل صحيح ، بل انه لا برهان عليه أبداً ، لما نعرفه من ان الكنعانيين لا يصل موطنهم الى قلب سيناء عند منطقة الطور ، تلك المنطقة التي تشهد نصوص العهد القديم نفسها على اول اتصال للاسرائيليين بها ، وذلك في رحلة عودة موسى الى اهله القابعين في مصر من ارض مدين حيث كلف بالرسالة اول مرة ، فمهما يكن من قول في هذا المجال ، فانه لا يتعدى اعتباراً واحداً مفاده ، ان ارض كنعان استوطنها الكنعانيون قبل نشأة ما عرف ببني اسرائيل بزمن بعيد في التاريخ ، وانهم كانت لهم لغتهم الكنعانية كلغة مكتملة ثابتة ، وحين حل ابراهيم عليه السلام ونسله ، ومنهم بنو اسرائيل في هذه البلاد ، اخذوا بلغة اهلها وعاشوا بين ظهرانيهم ، فكانت لغتهم جزءاً من تلك اللغة بل لهجة من لهجاتها فيما بعد ، تلك اللغة التي نعرفها اليوم باللغة العبرية هذه اللغة التي لا تختلف في شيء من الاصول عن اللغة الكنعانية ، هذا بالاضافة الى ان الفاظا كثيرة من لهجة فلسطين العربية ، ما هي الا الفاظ كنعانية قديمة توجد صور لها في اللغة العبرية ، وذلك مما لا يتسع المقام الى تتبعه .

ان من الثابت من وجهة نظر المؤرخين لعلوم اللغات السامية ان اللغة العبرية باصلها الكنعاني واللغة العربية والبابلية الاشورية والارامية والحبشية ، كلها لغات شقيقات ترجع الى لغة ام واحدة

تفرعت هذه الشقيقات عنها ، هي اللغة السامية الام ، وهذا يجعل الباحث مطمئنا الى امكانية وجود المادة اللغوية لاي من الالفاظ السامية في جميع هذه اللغات او بعض منها ، وهذا ما ينطبق على مادة الاسم «حبرون» الذي يعتبر منحدراً من الفعل «حَبَر» بالحاء المهملة خلافا لما اورده «جيزينيوس» في معجم الفاظ التوراة ، من ان هذه المادة «خَبَر» بالخاء المعجمة ، الذي ربما كان من واقع وهم حل بالرجل من اعتبار الحاء مهملة في العبرية يجب ان تقابلها الخاء المعجمة في العربية .

ان الفعل «حَبَر» ومن خلال استقصائه في اللغات السامية او في بعضها تبين انه يوجد فيها بالدلالات نفسها تقريبا ، وخاصة في اللغتين العربية والعبرية فضلا عن اللغة السريانية ، ونتيجة الاستقصاء نبينها في الاتي :

«حَبَر» : حسب ما توصل اليه ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ، تدل على الاثر في حسن وبهاء ، وفي معاجم العربية نلاحظ من بين دلالاتها اثر الجرح بعد ان يلتئم فيترك اثراً مستحسنا وخاصة في مواضع معينة من الوجه وهذه الدلالة في حد ذاتها ، توجد من بين دلالات المادة في السريانية بلفظ «حَبَرْتا» ، اما في اللغة العبرية ، فنلاحظ ان دلالات هذه المادة في اشتقاقات مختلفة منها ما تدور حول التوحيد والتجميع ، مما يدفعنا الى الجزم بأن هذه الدلالات لها علاقة وثيقة بالدلالات الموجودة في اللغة العربية وفي اللغة السريانية من الجرح او اثره بعد الالتئام ، مما يحمل في ثناياه الاتجاه نحو الدلالة المجردة والاكثر انتشاراً في كل لغة من اللغات السامية ، فأثر الجرح في اللغة العربية والذي يرتبط بقيم معنوية مساندة ، تدور حول الحسن والبهاء هو

الاصل لمعنى التحبير فيها ، وهو الكتابة والوشي والسرور والصحبة من الاصدقاء . كذلك في اللهجات الارامية ومن خلال السريانية ، حين نقف على المعاني نفسها ، هذا بالاضافة الى اللغة العبرية وكثرة اشتقاقات هذه المادة ودلالاتها على معنى الاتحاد والتجمع والاتفاق والتشارك ، وعلى هذه المعاني يمكن الوقوف فيما تبقى من اصول هذه المادة في الاشورية البابلية ، واللغة الحبشية التي تعتبر امتداداً للغة العربية الجنوبية التي نعتبرها نحن اللغة العربية البائدة حيث توجد فيها هذه المادة بمعنى الربط والجمع تماما كما توجد في سائر اللغات السامية .

من خلال ما سبق ذكره حول وجود مادة «حَبَر» في جميع اللغات السامية يمكن القول بشكل قاطع ، ان هذه المادة كانت سامية عامة انحدرت من اللغة السامية الام ، وانها قد تدرجت في الساميات الشقيقات بعد انشعابها عن تلك اللغة الام ، متجهة اتجاهات مختلفة ، سواء من حيث صور الاشتقاق ، او من حيث الدلالات ، دون الخروج عن الجذر الثلاثي الاساسي من الحاء والباء والراء ، والدلالة الاولى من معنى «الاثر» ، وان اتجهت دلالات هذه المادة من خلال اشتقاقات عديدة ، وفي مختلف الساميات الى معنى التوحد والتجمع والارتباط والصحبة والاتفاق . وهذا بدوره ما يدفعنا الى القول الذي لا يتطرق اليه الشك . من ان تسمية مدينة الخليل القديمة ، بالاسم «حبرون» انما كانت اصيلة سامية تخص اهل البلاد ولغتهم الاصلية ، اولئك الاهل الذين صح اعتبارهم الكنعاني اصحاب المدينة ، وبناتها وسكانها اول مرة ، سموها باسم من لغتهم الكنعانية التي انحدرت اللغة العبرية منها كما سبق واشرنا(٢١) ، تلك المدينة التي كانت مقسمة في اربعة ارباع لاربع قبائل كنعانية اتحدت في نظام حكم معين عماده الاتحاد

على طريقة الممالك الكنعانية المختلفة في بلادنا على ايام تلك الفترة ، حين كانت كل مدينة تشكل مملكة مستقلة ، وهكذا عرفت المدينة في اصل تسميتها بالاسم «حبرى» او «حبران» في اللغة الكنعانية قديما ثم في العبرية فيما بعد لتدل على معنى الاتحاد المقصود .

اما ما نعرفه من صورة الاسم الحالية «حبرون» بالواو بدل الالف ، فانها الصورة الكنعانية نفسها ، ولكنها على طريقة النطق في الاشورية البابلية ، من تحويل مد الالف الى مد الواو المال الى الفتح ، فيما بين مد الفتح الصريح ومد الضم الصريح مما لا مجال الى الاستفاضة فيه هنا ، بحيث يعتبر من امور الصوتيات ، ولعل هذا كان مداراً لخلاف في النطق ، بين الاشورية البابلية من جهة والارامية من جهة اخرى . وتقف العربية موقفا مستقلا فلا تميل الى هذه ولا الى تلك ، في حين نرى اللغة العبرية تتأرجح في هذا بين اللغتين فتميل مرة الى الارامية في مد الفتح واخرى الى الاشورية في مد الضم ، ولعل استقرار نطق اسم المدينة «حبرون» على هذه الصورة في نص العهد القديم ، كان لما نعرفه من كتابة هذا النص او غالبيته في ارض آشور ايام السبي ، حين وقع بنو اسرائيل تحت طائلة التأثير المباشر للغة الاشورية البابلية يوم عاشوا في موطنها وبين اهلها الناطقين بها في ارض العراق ، وهذا ما جعل هذه الصورة «حبرون» تتغلب في الانتشار على الصورتين «حبرى» و «حبران» .

وعليه ، فان اسم المدينة لم يكن ـ ومنذ نشأتها الاولى ـ أبقا عن اصلها الكنعاني ، فهي لبناتها وساكنيها الاوائل من الكنعانيين باسمها كما كانت برسمها ، واضحة المعالم عبر مختلف العصور والايام ، هذا بالاضافة الى عدم معرفة المدينة باسم غير هذا الاسم ، عبر مختلف العصور ومنذ نشأتها الا ما كان من الاسم «قرية اربع» الذي لا يعتبر

اسما محدداً بل يدل على مطلق قرية لاربع قبائل ترجع ملكيتها ، ثم ما عرفت به المدينة من الاسم «خليل الرحمن» او «الخليل» فيما بعد ، تلك التسمية التي ارتضاها العرب المسلمون للمدينة نسبة الى جد الانبياء سيدنا ابراهيم عليه السلام ، الذي عرف في العقيدة الاسلامية «بخليل الله» حسب ما جاء في آي الذكر الحكيم : «واتخذ الله ابراهيم خليلا»(٢٢) وبهذا تكون المدينة قد عرفت بثلاثة اسماء : ما كان اسم منها خارجا او طارئا ، سواء من الناحية اللغوية او من الناحية التاريخية ، حسب ما مر من قولنا نرى هذه الاسماء جميعا انما تتمتع بالاصالة اللغوية ، والتاريخية على حد سواء ، فضلا عن الاصالة الدينية من ارتباط ذكرها بجد الانبياء والمرسلين سيدنا ابراهيم عليه السلام ، مما لا يترك حرجا في انفسنا نحن العرب المسلمين من ذكرها فضلا عن «خليل الرحمن» بحبرون او حبرى او حبران او حتى قرية اربع ، ولعل اكبر دليل على ذلك ذكرها بهذا في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى تميم الداري :(٢٣)

«بسم الله الرحمن الرحيم»
«هذا ما انطى(٢٤) محمد رسول الله لتميم»
«الداري واخوته حبرون والمرطوم»
«وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن»
«نطية بت بنمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم»
«ولاعقابهم . فمن آذاهم آذاه الله . فمن آذاهم»
«لعنه الله . شهد عتيق بن ابو(٢٥) قحافة»
«وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان»
«وكتب علي بن بو طالب وشهد»

من واقع الاطلاع في الروايات المختلفة لكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى تميم الداري والذي اوردنا احدى رواياته ـ يمكننا ان نتبين منطقة الخليل في العهد الروماني او أواخره على ايام الفتح الاسلامي او قبله بقليل اوكثير، انها كانت منطقة مهملة الى حد ما، وذلك حين نرى التشويش والخلط الذي يلف ذكر المدينة ومناطقها في هذا الكتاب، فضلا عن الاشارة الصريحة الى عدم سكناها في بعض صوره، او الروايات التي وردت حول هذه الاعطية مما نذكره لابي بكر رضي الله عنه يوم فتح هذه البلاد :(٢٦).

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من ابي بكر الصديق الى عبيدة بن الجراح، سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو.

اما بعد، امنع من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد، في قرى الداريين وان كان اهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون ان يزرعوها فليزرعوها، فاذا رجع اهلها اليها فهي لهم واحق بهم والسلام عليك».

لعل هذا يتمشى مع ما ذهب اليه الاستاذ مصطفى مراد الدباغ(٢٧) من ان منطقة الخليل كانت منطقة صغيرة متواضعة لا تملك من المقومات التي تجعلها وحدة ادارية مستقلة على عهد الرومان، بل انها كانت من اعمال «بيت جبرين» وان قراها المحيطة بها من الشمال كبلدة «سعير وحلحول» كانت من اعمال «القدس» و يبدو ان واقع هذه المدينة قد بقي خلال فترة طويلة من الحكم الاسلامي على هذه الحال، وربما استمر الى عهد المماليك.

ان مدينة الخليل في موقعها تتمتع بمكانة استراتيجية فائقة حين قرر بناتها الاوائل، ان تكون مدينة تحمي نفسها بامكانيات ذاتية،

فتصعد في وجه الغزاة فهي تقع في احضان هضبة جبلية تتارجح ارتفاعاتها حول ١٠٢٠ متراً فوق سطح البحر الابيض المتوسط ثم بانحدار الى شواطىء البحر الميت التي تنخفض عن سطح البحر الى ما يزيد على ٣٠٠ متر

«تعتبر مدينة الخليل من اقدم مدن العالم، اذ يرجع تاريخها الى ما يقارب ٦٥٠٠ سنة، و يبدو ان المدينة منذ نشأتها الاولى، قد دخلت في احلاف مع الدول الكبرى التي كانت تحيط بمنطقة فلسطين، مثل مصر الفرعونية ودولة آشور، كدولتين عظميين في تلك العصور، يبدو انها يوم توحدت بارباعها، قد اتخذ موحدوها من قمة الجبل المعروف اليوم «بجبل الرميدة» في الناحية الجنوبية الغربية من الحرم الابراهيمي الشريف، مقراً لحكومة الاتحاد، وهذا المكان المعروف اليوم باسم مشهد الاربعين، هو المكان الذي اجريت فيه الحفريات المختلفة التي ذهب اصحابها مذاهب شتى، حول الفترة التي كان بناء المدينة فيها، وذلك استناداً الى تقدير عمر الآثار القائمة اطلالها في هذا الموقع الى يومنا هذا، علما بأن وجود المدينة كارباع ـ كما سبقت الاشارة ـ يسبق الفترات التي حددها الحفريون بزمن لا يعلم عدته الا الله. فبالاستناد الى ما ورد في سفر العدد من العهد القديم(٢٨) : فصعدوا وتجسسوا الارض من برية صين(٢٩) الى رحوب في مدخل حماة(٣٠).

صعدوا الى الجنوب واتوا «حبرون». وكان هناك «اخيمان» و «شيشاى» و «تلماى» بنو عناق(٣١). واما حبرون فبنيت قبل «صوعن مصر» «بسبع سنين» وعليه فان المدينة قد بنيت في زمن تقدم سبع سنوات على بناء مدينة صوعن او صان الحجر(٣٢) تلك البلدة المصرية التي بنيت في عهد الاسرة السادسة الفرعونية، التي حكمت في الفترة ما

بين ٢٦٢٥ـ٢٤٧٥ ق.م ، او قبل ذلك بقليل . غير ان فيليب هموند(٣٣) يرد تاريخ بناء هذه المدينة الى ما قبل عام ٣٥٠٠ ق.م .

ولبيان تاريخ المدينة ، فلا ضير من تتبع نشأتها عبر الفترات المختلفة من تاريخها : «فهموند» في عرض مكتشفاته على العصور التاريخية المختلفة نراه يرد بعض المكتشفات من الفخار والطين والجير والارضيات المرصوفة ، الى فترة تقدمت على العصر البرونزي الاول في فلسطين ، تلك الفترة التي تقع فيما بين عامي ٣١٠٠ و ٢٩٠٠ ق.م ، ومكتشفات اخرى ترجع الى النصف الاول من العصر نفسه فيما بين عامي ٢١٠٠ ، ١٨٥٠ ق.م . كما نراه يرد مكتشفات اخرى الى العصر الحديدي فيما بين الاعوام ١٢٠٠ و ٥٨٧ ق.م. وفي هذه الاثناء اي في العصر الحديدي كانت المدينة قد خضعت لحكم الادوميين ، اولئك الذين جاؤوا المدينة من الصحراء المتاخمة لبرية «الخليل» جنوبا وشرقا ، من البلاد التي تعرف باسمهم «ارض ادوم» والتي يمكن تحديدها بمنطقة «البحر الميت» و «وادي عربة» ، وكان لهؤلاء القوم شان في المدينة من الاستقرار والمنعة ، ولم يخرجوا منها الا على ايدي «المكابيين اليهود»(٣٤) الذين هاجموها في حوالي عام ١٦٤ ق.م . واستولوا عليها ، ولما كانت قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع المدينة قد حدثت قبل هذه الاحداث بزمن ليس بالقليل ، بل ان المدينة قد ارتبطت في اغلب احداث تاريخها وخاصة الدينية منها بهذا النبي الجد الجليل ، فانه من الجدير بنا ان نقف وقفة خاصة على قصته عليه السلام معها وقصتها معه .

ابراهيم الخليل عليه السلام والمدينة :

حسب نتائج البحوث الاثرية والتاريخية واستناداً الى النصوص المقدسة المختلفة ، فقد ارتبطت المدينة في تاريخها بابراهيم عليه السلام

، وكانها قد نسيت تاريخها العريق قبله ، كما توقفت عنده غير آبهة بما مر بها من احداث العصور ، مكتفية به و بمكانته ابا للانبياء على عقيدة «نوح» عليه السلام من ديانة التوحيد .

لقد جاء «ابراهيم» عليه السلام مدينة «الخليل» في حوالي عام ١٩٠٠ ق.م. وذلك بعد رحلة طاف فيها انحاء فلسطين ، فكان ان قدم «القدس» ولقي الاكرام من ملكها اليبوسي الكنعاني «ملكي صادق» ، ذلك الملك الذي كان يؤمن بالله العلي كما ورد في سفر التكو ين من العهد القديم : «وملكي صادق ملك شاليم(٣٥) اخرج خبزاً وخمراً وكان كاهنا لله العلي . و باركه وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض»(٣٦) غير ان «ابراهيم» عليه السلام غادر «القدس» بعد ذلك الى تخوم مصر ، وهناك التقى بأحد ملوك الفلسطينيين الذي اكرمه ايضا وعرض عليه الاقامة في ارضه ، واستمر في ترحاله الى ان اتصل بفرعون مصر ، وما زال في ترحاله الى ان حط عصاه في بلاد النقب جنوبي فلسطين في منطقة تذكرها التوراة «بجرار» ، تعرف اليوم باسم ام الجرار الى الشرق من «خان يونس» حيث يورد النص : «وانتقل ابراهيم من هناك(٣٧) الى ارض الجنوب ، وسكن بين «قادش وشور»(٣٨) وتغرب في «جرار»(٣٩) و بعد ما كان من الاحداث بين «ابراهيم» وملك جرار الملك الفلسطيني ابي مالك بسبب «ساره» عليها السلام ، مما يسرده لنا الاصحاح نفسه ، الاصحاح العشرون من سفر التكو ين ، غادر «ابراهيم» ليقيم في منطقة «بئر السبع» و بين حط وترحال ، يواصل «ابراهيم» عليه السلام رحلته في ارض كنعان الى ان جاء الى «حبرون» ـ «الخليل» ـ واقام في منطقة «ممرا» او «نمرا»(٤٠) حيث توفيت ساره(٤١) زوجه . هذا الحدث في حد ذاته الذي يثبت ان اقامة «ابراهيم» في المدينة كانت

اقامة «مؤقتة» ، وانه كان غريبا في هذا المكان وبين اهله ، بدليل انه ما كان يملك من الارض موضعا يواري فيه جثمان زوجه الحبيبة الى قلبه ، مما دفع به الى طلب العون من رجل من اهل المدينة اسمه «عفرون»(٤٢) ان يبيعه مغارة له في حقل لدفن «سارة» فيه وهذا ما تذكره نصوص العهد القديم نفسه : «وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حث قائلا : انا غريب ونزيل عندكم . اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من امامي . فاجاب بنو حث ابراهيم قائلين له : اسمعنا يا سيدي انت رئيس الله بيننا . في افضل قبورنا ادفن ميتك ، لا يمنع احد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك . فقام ابراهيم وسجد لشعب الارض لبني حث . وكلمهم قائلا ان كان في نفوسكم ان ادفن ميتي من امامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر ان يعطيني مغارة المكفيلة التي له التي في طرف حقله بثمن كامل يعطيني اياها في وسطكم ملك قبر»(٤٣) .

ولعل هذا النص يبرز و بصورة واضحة ، كيف كانت قصة وفاة «سارة» عليها السلام في مدينة خليل الرحمن ، هذا الى جانب قصة طلب ابراهيم عليه السلام دفنها في مغارة المكفيلة الغار الشريف كما نعرفه نحن المسلمين اهل المدينة . هذا الاسم «المكفيلة» الذي يحار الباحثون وخاصة العرب منهم في معناه واصله والسبب في اطلاقه على هذا الغار ، تلك الحيرة التي تدعونا الى التوقف عند هذا الاسم قليلا ، لنبين بل لنجلو ما يلفه من الغموض ، فنعاود الحديث بعد ونواصله عن قصة المدينة مع سيدنا ابراهيم عليه السلام .

مغـــارة المكفيلـــة :

لدى عرض هذا الاسم على اصول الاشتقاق في اللغات السامية ، نلاحظ انه صيغة اسم المكان في اللغة الكنعانية القديمة ، وتقابلها في

اللغة العربية الصيغة المؤنثة مَكْفَلَة ، وهذه الصيغة مشتقة من المادة «كَفَلَ» تلك المادة التي ما زالت تعيش في اللغات السامية كافة بدلالات متقاربة بل تكاد تكون واحدة ، تلك الدلالات التي تدور حول دلالة واحدة تشكل محورا ثابتا للمادة في اللغات السامية اجمع ، وهي الدلالة على «الضِّعْف» اي كل شيء ونظيره الذي يضاعفه ، فالاول يكون و يأتي الثاني ليضاعف ذلك الاول السابق .

و باستقصاء اشتقاقات هذه المادة ودلالاتها في اللغات السامية الموجودة نصوصها بين ايدينا ، نراها في اللغة الكنعانية والارامية والحبشية والبابلية والاشورية والعبرية والعربية ، توجد الدلالة نفسها «الضِّعْف» ، وان تفاوتت تلك الاشتقاقات من حيث العدد والاختلاف في الدلالات من لغة الى اخرى ، نلاحظ انها ترتبط كلها بهذا المعنى ، وخاصة في اللغة العربية ، حيث توجد هذه الدلالة «الضِّعْف» بصورة صريحة ، وذلك في صيغة تكسر فيها الكاف وتسكن الفاء «الكِفْل» وهذه الصيغة بعينها تدل ايضا على معنى النظير فيقال : «فلان وفلان كِفْلان متكافلان» اي صنوان متناظران يرتبطان ولا يفترقان هذا الى جانب الصيغة العربية الاخرى من هذه المادة بفتح الكاف والفاء «الكَفَل» وهو العجز في الانسان وغيره ، ومعنى النظير موجود ، فالعجز يتكون من ردفين كل منهما يقابله نظيره ولا يفترقان .

لما كانت هذه المادة في جميع اللغات السامية وعلى ضوء ما سبق ، تدور دلالاتها حول ارتباط نظير بنظير ، ووتر يشفع يثنّيه ، فيصح لنا ولو مجازا ان تطلق على الزوجين ، وهذا ما نود الوقوف عليه من ان الغار الشريف حين دفنت فيه «سارة» عليها السلام ، ثم اتبعت بدفن زوجها ابراهيم عليه السلام ازاءها ، ثم بدفن ابنائهما اسحق وزوجه و يعقوب

وزوجه كل ازاء الآخر، صار الغار مقبرة تضم في جنباتها ازواجا، الواحد مقابل نظيره، اي انها غدت مكفلة لاولئك الموتى الازواج من الانبياء الكرام سلام الله عليهم اجمعين. وبعد، فربما قال قائل: ما بال يوسف عليه السلام الدفين كفرد احد؟. والرد على هذا القول يأخذ اتجاهات منها، ان يوسف عليه السلام يوم توفاه الله في مصر وحملت رفاته مع موسى عليه السلام وبني اسرائيل الى بلادنا في الخروج، وهذا حسب نص التوراة: «واخذ موسى عظام يوسف معه، لانه كان قد استحلف بني اسرائيل بحلف قائلا ان الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم»(٤٤). أي ان ذلك كان بعد موت يوسف بسنين لا تحصر عدتها، هذا فضلا عن ان رفاته وحده قد حملت دون زوج له، الى جانب ان مكان دفن يوسف عليه السلام في ارض فلسطين ما زال الى يومنا مدار خلاف، اكان في «نابلس» ام كان في مدينة الخليل، وان كان في «الخليل» حسب شهادة نصب قبره في الحرم الابراهيمي الشريف، فان مدفنه يقع خارج الغار كما هو معروف، بل كما تمكن ملاحظته للزائر العادي للحرم الشريف، وليس في حضرة الانبياء الاباء وازواجهم عليهم السلام.

وعليه، فان هذا الاسم «المكفيلة» كعلم عرف به الغار الشريف في الحرم الابراهيمي في مدينة خليل الرحمن، اسم له جذور لغوية اصيلة في اللغات السامية بما فيها اللغة العربية، وان لفه بعض الغموض، فمرجع ذلك الى الجهل بأصول لغتنا العربية وجذورها البعيدة الضاربة في الدوحة السامية الاولى، تلك الجذور التي يمكن العثور عليها بأوضح من اية جذور في اية لغة سامية شقيقة، لذا فلا حرج من ترديد العرب والمسلمين لهذا الاسم في حديثهم على الغار الشريف لما له ـ لهذا الاسم

ـ من الاصالة اللغوية في التراث اللغوي السامي بشكل عام والعربي على وجه الخصوص.

وعوداً الى قصة المدينة مع سيدنا ابراهيم عليه السلام، فقد كان اثناء اقامته في «ممرا» او «نمرا» في المدينة ان انزل الله الملائكة عليه مبشرين له ولزوجه «سارة» بابنهما اسحق ومنذرين بهلاك قوم «لوط» وذلك في الفترة ما بعد المائة الثامنة عشرة قبل الميلاد.

وتسكت النصوص المقدسة بصورة تكاد تكون تامة، عن احداث اقامة «ابراهيم» عليه السلام في المدينة، تلك الاقامة التي كانت قصيرة كما يبدو الى حين وفاته، هذا رغم ما ذهب اليه «عوديد ابيشار» في كتابه «سفر حبرون»، من ان «ابراهيم» عليه السلام بنى هيكلا في «الخليل»، مما يدعو الى الاستغراب و يثير الدهشة، فلسنا ندري على ماذا استند «عوديد ابيشار» في معلومته هذه، التي تخالفها احداث حياة ابراهيم القصيرة في المدينة، حتى انه لم يقم ببناء مسكن له، بل انه اقام وزوجه سارة عليهما السلام في خيمة تحت بلوطات و «بطمات ممرا»، حسب نص التوراة نفسها: «فنقل ابرام خيامه واتي واقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون»(٤٥)، وظهر له الرب عند «بلوطات ممرا» وهو جالس في باب الخيمة ...(٤٦)، فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى «سارة» وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا اعجني واصنعي خبز ملة»(٤٧) هذا الا اذا اعتمد «عوديد ابيشار» في معلومته هذه على ما ورد في نص سفر التكوين «من العبارة ١٣/١٨» «وبنى مذبحا للرب»، فكلمة مذبح لا تعني، بل لا تقابل كلمة هيكل، فالمذبح انما هو جمع من الحجارة العادية، بل ربما يكون حجراً واحداً كبيراً يقام في اي مكان في هيكل او في العراء، لتقدم عليه القرابين، سواء الذبائح

منها ام البخور والمحرقات ، والمذبح بعينه لا يمكن ان ينظر اليه على انه بناء يصح ان يكون اثرا لصاحبه ، وذلك لانه اذا هم بالرحيل قد يحمله معه خاصة اذا كان حجراً واحداً ، اما الهيكل فهو بناء ينشأ كمعبد للقيام فيه بمهام العبادة .

هذا فيما يتعلق باقامة «ابراهيم» عليه السلام في المدينة ، وبالتالي فان حياة ابنائه من «اسحق» الى «يعقوب» ونسلهم في ارض كنعان بما فيها المدينة «حبرون» ، لم تصلنا اخبار ذات بال عنها ، الا ما له علاقة باحداث الرحيل الى مصر مع «يوسف» عليه السلام(٤٨) ، تلك الفترة التي عرفت بالحروب والثورات والقلاقل بين سكان البلاد المحليين سواء بسواء في العراق وسوريا وفلسطين وشمال الجزيرة العربية والبدو الرحل في بوادي تلك البلاد ، الى ان تغلب «الهكسوس» الرعاة على هؤلاء جميعا حتى قدر لهم الاستيلاء على مصر في المائة الثامنة عشرة قبل الميلاد او فيما بعدها(٤٩) ، ولسبب ما ؟؟؟ تركز روايات العهد القديم على موت اسحق(٥٠) عليه السلام وزوجه رفقه(٥١) ودفنهما في مغارة المكفيلة ، ثم موت زوج يعقوب(٥٢) ليئه(٥٣) التي توفيت قبله ، وتم دفنها في الغار ، ورحل مع ابنائه وكانت بصحبته زوجه الاخرى راحيل «ام يوسف و بنيامين» الى مصر ، حيث توفي هناك وحنط جثمانه ونقل للدفن في الغار ازاء زوجه ليئه حسب وصيته .

يبدو ان مدينة خليل الرحمن في الفترة التي اعقبت المائة الرابعة عشرة قبل الميلاد قد استقر وضعها السياسي الى جانب غيرها من المدن الفلسطينية ، ضمن حلف مع المصريين بعد طرد «الهكسوس» من مصر ، والدليل على ذلك تلك الاشارات التي وردت في رسائل «تل العمارنة» على ايام «اخناتون» في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، تلك الرسائل التي

كتبها اتباع ربما كانوا من المدينة — رغم عدم ذكر اسمها صراحة في تلك الرسائل ، بعكس مدينة القدس التي ذكرت بشاليم(٥٤) — وهذا ما اشار اليه «هموند» من انها ذكرت ايضا في قائمة انتصارات «رعمسيس الثالث»

لقد كانت مدينة «الخليل» تعيش فترة من الازدهار والاستقرار السياسي والاقتصادي والزراعي ، في فترة خروج بني اسرائيل بقيادة «موسى» عليه السلام من مصر ، وذلك حين بعث «موسى» عليه السلام بجواسيسه الى ارض كنعان ، وما كان من احداث دخولهم الى المدينة والتقائهم ببعض اهلها من الكنعانيين العماليق ، فوقفوا على خيراتها وغلالها ، وحملوا معهم بعضا منها في عودتهم الى قومهم في صحراء التية ، وهذا ما ترويه لنا نصوص من العهد القديم :

«صعدوا الى الجنوب واتوا الى حبرون ... وقطفوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين ... فساروا حتى اتوا الى «موسى» و «هرون» وكل جماعة بني اسرائيل ... وردوا اليهما خبزا والى كل الجماعة واروهم ثمر الارض ... وقالوا قد ذهبنا الى الارض التي ارسلتنا اليها وحقا انها تفيض لبناء وعسل وهذا ثمرها . غير ان الشعب الساكن في الارض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً ، وايضا قد رأينا بني «عناق» هناك . العمالقة ساكنون في ارض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون ساكنون في الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن ... واما الرجال الذين صعدوا ... فقالوا لا نقدر ان نصعد الى الشعب(٥٥) لانهم اشد منا . فأشاعوا مذمة الارض التي تجسسوها في بني اسرائيل قائلين الارض التي مررنا فيها لنتجسسها هي ارض تأكل سكانها . وجميع

الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة . وقد رأينا هناك الجبابرة بني «عناق» من الجبابرة فكنا في اعيننا كالجراد وهكذا كنا في اعينهم»(٥٦) . ان التمعن في هذا النص يغني عن كل قول حول ما سبق ذكره من الاستقرار والازدهار ، الذي كانت بلادنا تتمتع به في هذه الفترة ، مما لا يدع مجالا لقائل يتشدق بسقط القول ، حول ان هذه البلاد لا اهل لها منحت لقوم يعمرونها ، هذا بالاضافة الى ان كاتب النص السابق ، ما هو الا من بني اسرائيل ، فضلا عن كون هذا النص من النصوص المقدسة ، كتبه كاتبه قاصداً ابراز المعاناة التي كابدها شعبه ، في فترة تعتبر من اقسى فترات حياته الا وهي فترة التيه .

وبعد ، فقد وقعت المدينة في قبضة «يوشع بن نون» صاحب «موسى» عليه السلام ، بعد معارك طاحنة دارت بين جيشه واهل البلاد المحليين . وخلافا لما ذكره السيد مصطفى مراد الدباغ(٥٧) من غير تعليق او تفنيد ، من ان المدينة اقطعها «يوشع بن نون» «لكالب بن يفنه» احد قادة جيشه ، فسماها هذا الكالب «حبرون» نسبة الى احد ابنائه وهذا الاسم يهودي بمعنى عصبة وصحبة ... ، فنرد الامر الى ما ذكرناه حول هذه التسمية فيما سبق من هذا البحث وقدمها في التاريخ ، بل بشهادة نصوص العهد القديم نفسها من ذكر المدينة بهذا الاسم قبل مجيء «ابراهيم» عليه السلام اليها ، ولعل مثل هذه المغالطات كان من بين الدوافع التي ادت بنا الى الكتابة في هذا الميدان .

على الرغم من احتلال المدينة من قبل الاسرائيليين بقيادة «يوشع بن نون» فقد ظل اهلها العرب الكنعانيون يقيمون فيها كسكان محليين ، يعملون في اعمالهم التي اعتمدت في غالبيتها على الزراعة ، تلك الاعمال التي لا يتقنها الاسرائيليون الذين تحولوا في التيه ـ الذي

استمر اربعين سنة ونيف في الصحراء ـ الى بدو رحل ، وذلك بنشأة جيل جديد لا يعرف من شؤون الزراعة الا ما يرويه الاباء من ذكريات ترجع الى عهدهم في ارض مصر قبل الخروج . فضلا عن ذلك ، فان وجود هؤلاء الزراع المحليين من العرب الكنعانيين بات ضروريا للغزاة الطارئين .

وحسب ما ورد في النصوص الاسرائيلية المقدسة نفسها ، فان الحروب والنزاعات لم تضع اوزارها قط بين الاسرائيليين والفلسطينيين في بلادنا ، وان تمكن بنو اسرائيل من الاستيلاء على بعض المدن والقرى ، تلك الحروب التي استمرت الى عهد «داود» عليه السلام وما بعده ، ذلك النبي الملك الذي قدر له قتل ملك الفلسطينيين «جوليات» او «جالوت» حسب المصادر العربية ـ وذلك ـ حسب ما ورد في نصوص العهد القديم تلك الفترة التي تمركز «داود» عليه السلام في مدينة «الخليل» واتخذها عاصمة له سبع سنوات ونصف ، وذلك استناداً الى ما ورد في العهد القديم : «في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة اشهر ...»(٥٨) ولكن الامر لم يستقر له فيها من الاضطرابات والقلاقل التي كانت تنتاب البلاد كلها ، والتي اكتملت على «داود» عليه السلام بثورة ابنه «ابشالوم» عليه ، مما اضطره الى الفرار من وجه ولده الى شرقي «الاردن» ، حتى استطاع القضاء على هذه الثورة والعودة الى المدينة ، وحول ذلك يحدثنا العهد القديم(٥٩) بأسلوب من الخلط والتشويش مما لا مجال الى ذكره في هذا المقام .

وبعد ... فقد نقل «داود» عاصمته الى «القدس» بعد ان تم له الامر مع سكانها الاصليين من العرب اليبوسيين ، وهذا ما تشير اليه نصوص العهد القديم «... وفي اورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع

اسرائيل و يهوذا . وذهب الملك ورجاله الى اورشليم الى اليبوسيين سكان الارض . فكلموا داود قائلين لا تدخل الى هنا ما لم تنزع العميان والعرج ، اي لا يدخل داود الى هنا»(٦٠) وبناء على ما سبق يكون حكم «داود» في مجموعه قد استمر اربعين سنة ، قضى منها في «الخليل» سبع سنين ونصف السنة ، لم يترك اثرا يذكر ، بل لم تكشف الحفريات التي اجريت في المدينة عن اي اثر يرجع تاريخه الى عصر «داود» عليه السلام ، ولعل هذا في حد ذاته يصلح ردا على «فيليب هموند» في مقالته حول نتائج حفرياته في المدينة ، بعنوان : «الخليل القديمة ، مدينة داود» ، هذا العنوان الذي يدعونا الى الاستغراب والتساؤل حول هدف الاثري الباحث المذكور ، من وراء ربط تاريخ المدينة التي عاشت قبل و بعد داود عليه السلام عصراً يضرب في التاريخ الى ما يزيد على الستة الاف عام والى يومنا هذا ، ذلك العمر الطويل لمدينة الخليل ، كان نصيب داود منه في اقامته في المدينة سبع سنوات ونصف ، هذه الفترة القصيرة جداً بالنظر لعمر المدينة لا تشكل شيئا يذكر او يلتفت اليه في عمر الزمن .

وعليه ، فهل يجوز لنا ان نحيط الرجل ، ذلك الاثري الباحث العلمي «هموند» والذي يجدر به ان يتحرى الحقائق والحقائق فقط في معرض جهوده العلمية ، ـ الا يجوز لنا ان نحيطه ـ بدائرة من الشك ، سواء من حيث نتائج بحوثه وحفرياته بشكل عام ، او من حيث اهداف هذه الحفريات والبحوث التي اجراها في المدينة ، وخاصة في فترة حرجة من تاريخها ، اذ وقعت المدينة في قبضة الاحتلال الاسرائيلي قبل أن ينهي «هموند» حفرياته و بحوثه فيها ، بل ربما عشية انتهاء هذه البحوث والحفريات عام ١٩٦٧م؟ . اترك الاجابة على هذا التساؤل لكل ذي فهم حصيف من الباحثين والعلماء بشكل عام ، و باحثينا نحن العرب على

وجه الخصوص ، و بالذات اولئك الذين اتوا «بهموند» و بعثته الى المدينة ، واخذوا بيده لاجراء حفرياته فيها اول مرة .

ان واقع الامر فيما يتعلق بمدينة خليل الرحمن من حيث تاريخها الطويل هو ارتباطها بذكرى جد الانبياء سيدنا «ابراهيم الخليل» عليه السلام ، هذا الارتباط التاريخي الديني الذي ارتضيناه نحن العرب المسلمين لمدينتنا المقدسة ، ملتفين بقلو بنا واروا حنا حول مقامه عليه السلام ، ذلك المقام الذي نعرفه و يعرفه العالم اجمع شاهداً على تاريخ المدينة الديني المقدس .

الحرم الابراهيمي الشريف :

يقع الحرم الابراهيمي الشريف في الركن الجنو بي الشرقي من مدينة «الخليل» الحديثة ، التي انتشرت ابنيتها في الناحيتين الشمالية والغربية بصورة تكاد تكون ملحوظة الان . اما في القديم ، فقد كان الحرم الشريف يتوسط المدينة بحيث تحيط به احياؤها من كل ناحية .

ان الناظر الى بناء الحرم من الخارج ، يلاحظ تنوع مكوناته سواء من حيث الحجم او من حيث الطراز ، ولعل اهم ، بل جوهر البناء فيه الحير(٦١) الذي لا يخفى على الناظر اليه لاول وهلة انه سور ضخم البناء متقن الصنعة ، يقوم بحجارة عظيمة يصل طول البعض منها الى ما يزيد على السبعة امتار بارتفاع يزيد عن المتر ، وهي من الصخر المزي الصلب ، قطعت وصقلت بدقة متناهية ، ثم رصت في البناء بعناية ومهارة فائقتين من غير مؤونة ـ بضغط الهواء وتفريغه على طريقة بناء الحجرات الملكية في الاهرامات المصرية ـ مما يدعو الى الاعجاب بهندسة البناء المحكمة ، و يصل ارتفاع البناء في بعض المواضع الى ما يزيد على الخمسة عشر متراً . وتعلو الحير مئذنتان بأربعة اضلع ، احداهما تقوم

على الركن الجنوبي الشرقي ، والاخرى على الركن الشمالي الغربي ، اما داخل السور ، فيرى الرائي مشاهد علوية لاضرحة الانبياء وازواجهم جعلت دليلا على امكنة اضرحتهم في الغار الشريف الموصد من زمن لا يعلمه الا الله ، وكل مشهد ضريح نبي قبالته مشهد ضريح زوجه ، بحيث تكون اضرحة الانبياء على يمين المتقبل للقبلة ، واضرحة الازواج على يساره ، حين يقف امام المحراب في الجامع وتقسم الابنية في الداخل الى ثلاثة اقسام : الجامع ، في الجهة القبلية من قلب الحير و يتكون سقفه من ثلاث كور ، الوسطى والتي تعلو الكورتين المحاذيتين لها شرقا وغربا ، وكلها تقوم على اعمدة ضخمة مرتفعة غاية في الاتقان والابداع . مقام النبي يعقوب وزوجه عليهما السلام ، و يقع في الناحية الشمالية من باحة الحير . مسجد اليوسفية ، و يقع في الناحية الغربية الشمالية من قلب الحير ، وهو مخصص للنساء وفيه مدخل يفضي الى حجرة فيها المشهد العلوي لضريح سيدنا يوسف عليه السلام ، والحجرة بنيت خارج الحير ، فوق مدفن يوسف عليه السلام خارج السور بل خارج الغار الشريف و بمحاذاة الحير من الناحية الشرقية ، يقوم مسجد يعرف بالمسجد الجاولي ، نسبة لبانيه ناظر الحرمين الشريفين «ابو سعيد سنجر الجاولي» ، والذي بناه على نفقته الخاصة ما بين عامي ٧١٨ ـ ٧٢٠هـ . و بالنظر لتضارب الروايات حول بناء الحير والزمن الذي بني فيه وحول بانيه ، نرى من المفيد ان نتحدث في هذا المجال علنا نجلو الحقيقة فيه .

لقد وردت روايات مختلفة حول بناء الحير حول الغار الشريف ، منها ما هو شعبي ، يدور على السنة العوام من اهل المدينة ، ومنها ما ورد في نصوص مختلفة متفرقة .

يردد العوام من اهل المدينة حكاية شعبية مفادها ، ان الحير بني

على ايام «ابراهيم» عليه السلام ، او انه بني بعد موت «سارة» عليها السلام ، وقام ببنائه نفر من الجن من غير اساس ، وحين اعلنوا عن اسفهم «لابراهيم» عليه السلام على صنيعهم هذا ، اجابهم بالا يأسفوا فالدنيا كلها قائمة من غير اساس .

ورواية يرددها الرحالة والمؤرخون وذكرها «عوديد ابيشار» في كتابه «سفر حبرون» مفادها ، ان الحير انما بناه سليمان عليه السلام حين اوحى الله اليه ، ان ابن على قبر خليلي حيراً حتى يكون معروفا لمن يأتي بعدك ، فخرج «سليمان» وجنده الى ارض كنعان بحثا عن موضع الغار فلم يعثر به ، فأوحى الله اليه ، ابحث وانظر ترى نوراً يضرب من الموضع الى عنان السماء ففعل ، وامر الجن من جنده فبنوا عمل نهار واحد ، فاوحى الله اليه ان اخطأت المكان يا «سليمان» ـ وهذا البناء ما يعرف اليوم بحرم الرامة على مقربة من طريق «الخليل ـ القدس شرقا تمشيا مع الرواية ـ نظر «سليمان» الى ان قدر له تحديد الموضع على الصحيح ، فقام ببناء الحير . وراح الناس يرددون استناداً الى هذه الرواية ، ان هذا الحير هو الحير السليماني نسبة الى « سليمان» عليه السلام . وما يمكن قوله في نقض هذه الرواية ، ما تضمنته من خبر جهل «سليمان» بموضع الغار ، مما لا يمكن ان يكون لنبي كان ابوه يقيم في المدينة و يتخذها عاصمة لملكه بالامس القريب(٦٢) . هذا فضلاعن ان سليمان عليه السلام كان نبيا لا ينطق عن الهوى ، بل يوجهه الوحي الالهي كما تشير الرواية نفسها ، هذا الى جانب ما قدر الله تعالى لسليمان عليه السلام من تسخير الجن وغيرهم ، مما يجعل لديه القدرة على صنع ما يعجز عن صنعه غيره من الانبياء والبشر العاديين .

ونحن اذ لا نشكك ـ في هذا المقام ـ في امكانية قيام «سليمان» عليه

السلام ببناء حير حول الغار الشريف ، نجزم و بشكل قاطع ان الحير الحالي لا يمت «لسليمان» عليه السلام بأدنى صلة ـ وكذلك ما يعرف بحرم الرامة لانه من طراز بناء الحرم الابراهيمي الشريف ـ وان بناءه كان في عهد متأخر بعد عهد «سليمان» بزمن ، فضلا عن ان بناته قوم آخرون ، ابتعد زمنهم من زمن «سليمان» عليه السلام ، بل ليسوا من قومه على الاطلاق . «بدليل اختلاف طراز البناء» .

لقد سبقت الاشارة الى ان الادوميين كانوا قد اتخذوا مدينة «الخليل» موطنا لهم وذلك بعد استيلاء «الانباط» على بلادهم في حوالي عام ٥٠٠ ق.م ، غير ان هؤلاء لم يقدر لهم الاستقرار في المدينة بفعل الهجمات التي كانت تشنها من حين لاخر بعض القبائل الاسرائيلية ، ومر ذكرنا لتغلب «المكابيين» اليهود على «الادوميين» واخراجهم من المدينة زمنا ، وكان ذلك في حوالي عام ١٦٤ ق.م(٦٣) .

يبدو ان «الادوميين» بعد هذا التاريخ ، كانوا قد تحالفوا مع الرومان فقويت شوكتهم وعادوا الى المدينة ، وظهر فيهم رجل حظي بمكانة مرموقة عند «الرومان» وهو ذلك القائد الادومي المعروف «بهيرودس» الكبير ، الذي حكم مدينة «الخليل» كتابع للرومان في الفترة ما بين عامي (٣٧) قبل الميلاد الى عام (٤) ميلادية ، وهذا يتفق مع ما ذهب اليه الباحثون من ان المسيح عليه السلام ، قد ولد في أواخر حكمه(٦٤) .

ان المطلع في نتائج البحوث والكثير من المصادر ، يقف على اجماع بأن هذا الرجل هو الباني الحقيقي للحير الحالي ، ومما يدعو الى الاطمئنان لهذا الرأي ان طراز البناء نفسه يشهد على انه يعود الى تلك الفترة من الزمن ، الا وهي مطلع العصر المسيحي في بلادنا ، وهناك آثار كثيرة منتشرة في انحاء متعددة من بلاد الشام ومصر من الطراز نفسه

الذي تختلط فيه الهندسة اليونانية بالهندسة الرومانية ، من حيث ضخامة البناء وتقدم ادوات الحفر وقطع الحجارة الصلبة ، والانشاء من غير مواد البناء الطينية ، مما جعل هذا البناء الشامخ يبقى قائما هذا الزمن الطويل ، رغم ما تعرضت له المدينة من حملات التخريب والدمار ، وخاصة عام (٧٠) للميلاد على ايدي الرومان .

ان الهدف الرئيسي من بناء هذا الحير في الاصل ، تدل عليه طبيعة البناء نفسها ، من كونه مجرد سور يحيط بل يحمي و يشهر مقبرة مقدسة ، وذلك لعدم انشاء الابواب والنوافذ في جسم السور ، وتذكر المصادر ان اول من اتخذ من الحير مكانا للعبادة كان الرومان بعد اعتناقهم المسيحية ، فقاموا بسقف الحير كله او بعضه ، وفتحوا في جداره بابا ، وعلى فترات متعاقبة ، كان اباطرة الرومان البيزنطيين يتخذون من المكان حصنا في حال الحرب وكنيسة للعبادة في حال السلم ، او كليهما في آن معا ، و بقيت الحال كذلك الى ان اغار الفرس على بلاد الشام ومصر وخربوا الكثير من مدن وحصون الرومان بما في ذلك مدينة «الخليل» ، فدمروا السقف الروماني وما كان قائما على السور من الابراج ، وكان ذلك في حوالي «٦١٤» ميلادية(٦٥) .

يبدو ان المدينة بأسرها قد خربت على ايدي «الفرس» فهجرها اهلها تماما ، ولعل هذا مما يجلو الحيرة التي تنتاب الكثيرين منا حول عدم ذكر المدينة ابان الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام بشكل عام ولبلادنا فلسطين على وجه الخصوص ، وربما كان لله جل شأنه حكمة في هذا الامر ، اذ اراد لمدينة خليله عليه السلام ان تتوقف عن السير مع زمن لفه الكفر والضلال والدمار والخراب ، انتظاراً لاعلاء كلمته الحقة على الارض من جديد يوم بزغ فجر دين جديد ، دين الاسلام بدعوة محمد

صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل لواءه نفر مخلصون خرجوا من قلب الجزيرة ، طريقهم نهج الاسلام وهديهم نور السماء ، وسبيلهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، والمدينة بخرائبها وقد لفها النسيان في ذاكرة الزمن ، الا من محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ، حين اقطعها لصاحبه تميم بن اوس الداري وذريته من بعده ، قبل ان يقدر للواء الاسلام ان يرتفع فوق ربوعها بزمن ، وقد مر ذكرنا لهذا من قبل(٦٦) .

وتعود قصة المدينة من جديد مع اهلها الاوائل من العرب ، وذلك بدءاً بموجات الهجرة العربية المتأخرة من الجزيرة العربية الى بلاد الشام ، وكان نصيب المدينة واراضيها ، ان استقرت فيها عدة قبائل عربية اهمها قبيلتا «جذام ولخم» ، هاتان القبيلتان اللتان مازال احفادهما يعيشون في المدينة ، واراضيها فضلا عن انحاء مختلفة من فلسطين وشرق «الاردن» ، ولعل «الداريين» احفاد تميم الداري صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، هم من احفاد قبيلة لخم القحطانية ، واولئك من اقطعت لجدهم المدينة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم(٦٧) .

لقد تم الفتح الاسلامي لفلسطين في ايام الخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله تعالى عنه ، حين حضر الى «بيت المقدس» ، مارا بمدينة «الخليل» لما صحت روايته من انه جاء «القدس» من الجنوب عن طريق «جبل المكبر» . ومنذ ذلك الحين ، اتجهت انظار المسلمين الى مدينة جد الانبياء والمرسلين والد «اسماعيل» عليه السلام جد العرب العدنانية ، تلك المدينة التي نسيت فترة من الزمن كما سبق واشرنا ، مما دفع بالمسلمين الى بعثها من جديد وباسم جديد ، اسم شيخ الانبياء «ابراهيم» عليه السلام خليل الرحمن ، فبات المسلمون لا يقبلون لها اسما غير هذا الاسم معلنين ان «حبرون» تلك ، قد ماتت وانتهى زمانها

بخرابها على ايدي «الفرس» عام (٦١٤) ميلادية(٦٨) اي قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام بوقت قليل . ومنذ الوهلة الاولى لاستقرار المسلمين في فلسطين ، اتجهوا الى الحرم الابراهيمي الشريف بازالة آثار الهدم وترميم الاضرحة الشريفة ، تماما كما فعلوا في جبل الاقصى في «القدس» الشريف ، الى ان تسلم «الامو يون» زمام الامور واعلنوا خلافتهم في دمشق ، اتجهوا الى العمران في مختلف الاماكن من البلاد الاسلامية ، ومن اولها حرم الخليل ، فبنوا القباب ضمن الكور القائمة في السقف الحالي ، والقباب فوق اضرحة سيدنا «ابراهيم» وزوجه «سارة» وسيدنا «يعقوب» وزوجه عليهم السلام ، وحظي الحرم منهم بكل عناية واهتمام كغيره من المقدسات الاسلامية في مختلف البقاع .

اما في العصر العباسي فقد حظي الحرم الابراهيم الشريف ببالغ الاهتمام ، اذ قام بزيارته الخليفة «المهدي» (١٥٨ـ١٦٩هـ ، ٧٧٤ـ٧٨٥م) ، وامر بفتح الباب الشرقي الذي يصل داخل الحرم بالجامع الجاولي ، كما امر ببناء المواقي لجسم السور من ناحيتيه الشمالية والجنوبية ، ثم امر الخليفة المقتدر بالله (المتوفى عام ٣٢٠هـ ، ٩٣٢م) ـ امر ـ ببناء القبة الحالية على ضريح سيدنا «يوسف» عليه السلام،وتواكب المدينة بقداستها ركب الحضارة الاسلامية ، فما كان من جميع الخلفاء والحكام والسلاطين العرب والمسلمين الا ان اولوها جل الاهتمام بالاصلاحات والترميمات والابنية المختلفة ، سواء في الحرم الشريف او في جنبات المدينة من المؤسسات المختلفة ، كالمدارس والحمامات والمستشفيات والزوايا والرباطات والمساجد والبرك وقنوات المياه والعيون ، خاصة وان موقع المدينة على طريق الحجاج القادمين من انحاء بلاد «الشام والعراق ومصر» ، قد هيأ لها فرصة من الازدهار

والرقي ، فعمرت بالسكان والزوار ، وازداد عمرانها وتطاول بنيانها وكثرت اسواقها وبقيت على هذه الحال الى ان حل فال مشؤوم تمثل بالحروب الصليبية ، ففي عام (٤٩٢هـ) (١٠٩٩م) ، وقعت مدينة الخليل في ايدي الفرنجة ، ايام نشبت الحروب الصليبية في بلادنا ، فما ان مر عام واحد على التاريخ الذي ذكرناه ، حتى نصب حاكم «بيت المقدس» الصليبي ، احد اتباعه حاكما للمدينة التي صارت تعرف عندهم ، بقلعة القديس ابراهام او سانت ابراهام ، فقاموا بتحصينها حتى باتت من امنع الحصون الصليبية في فلسطين على الاطلاق ولعل الشاهد على حصانتها ان المسلمين في حروبهم ضد الصليبيين فشلوا ولمرات عديدة ، في حملاتهم على المدينة ، تلك الحملات التي كان من اهمها بل اخرها ، حملة كانت عام (١١٠٧م) . وكما يبدو ، فان المسلمين كفوا بعد هذا التاريخ عن محاولاتهم لاسترداد المدينة مما ادى بها الى الاسترخاء حينا من الزمن ، فشاع الاطمئنان في نفوس الصليبيين مما دفع بهم الى تحويلها الى ابرشية عام (١١٦٨م) ، واتخذوا من الحرم الابراهيمي الشريف كنيسة عام (١١٧٢م) .

كانت مدينة «الخليل» تحتل مكانة مقدسة في عقيدة المسلمين ، ما نسوها قط ، فما ان انتهى صلاح الدين الايوبي من اعماله الحربية في معركة حطين وحقق النصر عام (٥٨٣هـ) (١١٨٧م) ، حتى اتجه الى المدينة يجلو عنها آثار الغزاة الصليبيين و يطهرها من فسادهم ، فأعاد الحرم الشريف الى ما كان عليه من سابق عهده كمسجد اسلامي مقدس واجرى فيه بعض الاصلاحات من الداخل ، ففرشه بالسجاد ونقل اليه المنبر المعروف فيه الى يومنا هذا من مدينة «عسقلان» ، ذلك المنبر الشهير الذي صنع من الخشب المحفور غاية في الاتقان ، في عهد

الخليفة الفاطمي «المستنصر بالله» ، بأمر وزيره «بدر الجمال» عام (٤٨٤هـ) ، ثم من الاصلاحات التي اجراها «صلاح الدين» في الحرم الشريف ، اعادة بناء المحراب وتشييده بالرخام المختلفة الوانه ، واقام قبالته داخل الجامع ما يعرف اليوم بدكة المؤذنين . ثم جاء لزيارة الحرم الشريف ، شقيق صلاح الدين «الملك عيسى بن محمد العادل» ، فأقام فيه احد الاروقة ، واوقف عليه قريتي «دورا» و «كفر بريك»(٦٩) ، وقد حدث ذلك في عام (٦١٢هـ) . غير ان الصليبيين عادوا الى مهاجمة المدينة المقدسة كغيرها من مدن فلسطين عدة مرات ، وكان المسلمون يردون عن المدينة هذه الهجمات التي كان آخرها عام (٦٤٠هـ) (١٢٤٢م) ، حين هاجمها الصليبيون وردهم المسلمون بقيادة داود ابن الملك عيسى بن اخي صلاح الدين حاكم الكرك(٧٠) .

ما ان استقرت حال المدينة وهي تلتقط انفاسها من مكابدة حروب الفرنجة حتى قدر لها ان تتعرض لنكبة شنيعة حلت بها على ايدي الغزاة المغول «الذين وصلوا في غزوهم اليها ، فعاثوا فيها فساداً واحلوا الدمار والقتل عليها وعلى اهلها ، واسروا رجالها وسبوا نساءها ونهبوا خيراتها ومواشيها»(٧١) ، غير ان المدينة وارض العروبة والاسلام ، لا تعدم الرجالات المخلصين من القادة المؤمنين وذلك حين وجه سلطان مصر المملوكي «قطز» جيوشه بقيادة «الظاهر بيبرس» ، لدحر «المغول» عن بلادنا ، فجاء عن طريق بئر السبع متجها الى مدينة «الخليل» الى ان عسكر على مشارفها ، في المكان الذي يعرف اليوم بقرية الظاهرية ، نسبة اليه ، يتأهب للقاء المغول حتى قدرت له هزيمتهم ودحرهم عن بلادنا اثر معركة «عين جالوت» عام (٦٥٨هـ) ، (١٢٦٠م) . بقضاء «المماليك على المغول» ودحرهم عن بلادنا ، بدأت مدينة الخليل عصراً

من الاستقرار والازدهار كغيرها من المدن الاسلامية المقدسة في مختلف البقاع والامصار التي خضعت لحكمهم فكان ان حظيت هذه المدينة باهتمام السلاطين المماليك كافة في مختلف الاوقات ، وذلك بالاصلاحات والترميمات واعمال الزخرفة والترخيم والفرش والابنية المختلفة التي مازالت قائمة ، بل البعض منها ، وخاصة في الحرم الابراهيمي الشريف ، بل ان اهم ما صنعه هؤلاء السلاطين الوقفيات المختلفة من القرى والضياع التي اوقف ريعها للصرف على الحرم الشريف والقائمين عليه وزائريه ومجاوريه ، فأجروا السماط والرواتب للمجاورين المقيمين والطارئين على الحضرة الخليلية ، ولعل من اهم السلاطين المماليك الذين اولوا بالغ الاهتمام للمدينة ، السلطان «الظاهر بيبرس» الذي زارها عام (٦٦٨هـ) ، ليقف بنفسه على اعمال الاصلاح والترميم والبناء وحسن سير العمل في السماط ، وتجدر الاشارة الى ان هذا السلطان في زيارة سابقة للمدينة لاحظ ان اليهود والنصارى يدخلون الى داخل الحرم الشريف ، لقاء مال يؤدونه فاستقبح ذلك ومنعه حرصا على هيبة الاسلام والمسلمين ومقدساتهم واستمر هذا المنع الى عهد قريب بالنسبة للمسيحيين ، اما بالنسبة لليهود فقد دخلوه عام (١٩٦٧م) اثر احتلالهم المدينة في هذا العام . ولعل من اهم المنشآت التي اقامها المماليك في المدينة خدمة للمجاورين والزائرين للحرم الشريف ، ما عرف بالرباط ، ذلك البناء الذي كان مجاوراً له من الناحية الجنوبية الغربية ، وأمر ببنائه السلطان المنصور «قلاوون» ، ولقد ازيل هذا الرباط ضمن اعمال الهدم التي اجريت حول الحرم في ايامنا ، كما قام السلطان نفسه بانشاءات الاصلاح والزينة والترخيم داخل الحرم ، وخاصة فيما يتصل بحجرات ومشاهد ومدافن الانبياء

الكرام ، وهذا ما تنبىء به النقوش الموجودة على اللوحات الحجرية القائمة في اماكنها في الحرم الشريف الى يومنا هذا(٧٢).

و يطول بنا الحديث لو تتبعنا الاعمال التي حظيت بها المدينة والحرم الابراهيمي الشريف ، من قبل المماليك ، ونحن لا نجانب الصواب ان قلنا ، بأن غالبية هؤلاء كانوا من السلاطين او الامراء والولاة الذين قد توجهوا بأنظارهم الى المدينة المقدسة ، وأولوها كل رعاية واهتمام بحيث يحق لها ان تبكيهم يوم افل نجمهم ، واسلموا حكم بلادنا للاتراك العثمانيين ، الذين لم تحظ مدينتنا منهم باهتمام يذكر او برعاية تليق بمدينة «خليل الرحمن وقداستها» .

الحركة الثقافية في مدينة الخليل عبر العصور :

لما كانت مدينة «الخليل» قد ارتبطت بذكرى الانبياء منذ امد بعيد في تاريخها الطويل ، فقد حظيت بمكانة دينية خاصة ، جعلت منها مكانا مرموقا لحركة ثقافية مستمرة عبر العصور ، ارتبطت الى حد بعيد بالناحية الدينية العقائدية منذ القدم ، فكان للمدينة تاريخ متصل في هذا المجال ، بدء بارتباطها بالروح الديني الحنيفي ، من ايام جد الانبياء «ابراهيم» عليه السلام ، والايام التي سبقته على عهد ملك «القدس والخليل» اليبوسي المعروف «ملكي صادق» ، ذلك الملك الذي يؤمن بالله العلي على ديانة «نوح» عليه السلام من عقيدة التوحيد(٧٣) . و بعد ابراهيم عليه السلام وابنائه وذريته من اهل النبوة والدعوة الى دين الله ، اولئك الابناء الذين غادروا المدينة الى مصر ، كان للمدينة شأن في دعوة التوحيد المصرية أيام «اخناتون» ، وذلك استناداً الى ما اوردناه من ذكر للمدينه في رسائل «تل العمارنة»(٧٤) ، ثم ما كان للمدينة من مكانة مفضلة كحاضرة مقدسة على اطراف الصحراء الفلسطينية للقبائل كافة : الكنعانية ، كالادوميين والمديانيين وغيرهم ، مما لا نملك أدلة واضحة

المعالم عليه ، الا ما جاء من الروايات والاشارات المبهمة المختلطة حول بعض الاحداث المتعلقة بالمدينة ، في ثنايا نصوص العهد القديم(٧٥) .

ان المدينة لمكانتها المقدسة وارتباطها بذكرى الاباء والاجداد ، قد حظيت بمكانة هامة في الدعوة الموسوية ، وذلك حين وجه «موسى» عليه السلام اليها العيون والجواسيس(٧٦) ثم ما كان لها من الشأن الرفيع من الناحية الدينية على أيام «داود» عليه السلام .

منذ ايام الدعوة الاسلامية الاولى ، وفي الوقت الذي استتب الامر في بلادنا للعرب المسلمين ، ازدهرت في المدينة الدراسات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالدين الاسلامي واللغة العربية وعلومهما ، وذلك بدء بحلقات الدرس التي كانت تعقد في رحاب الحرم الابراهيمي الشريف ثم الزوايا والكتاتيب والمدارس التي تذكرها لنا المصادر المختلفة ، والتي كانت منتشرة في انحاء المدينة حول الحرم الشريف ، مما جعل للمدينة فضلا على افضالها تمثل في احتضانها الكثير من علماء العربية والاسلام ، سواء اولئك الذين وفدوا على المدينة طلبا للزيارة والعلم فاختاروا الاقامة فيها ، ام اولئك الذين ولدوا ونشأوا وتلقوا علومهم على علمائها ، ولا تجانب الصواب ان قلنا بانه ما من عالم عربي او مسلم مفسر او فقيه او لغوي ارتحل من المشرق الاسلامي وحواضره ، «كبخارى» «وسمرقند» «و بغداد» «والبصرة» «ودمشق» «وحلب» الى المغرب الاسلامي «والاندلس» وحواضرهما ، «كالقاهرة والقيروان وقرطبة وغرناطة» ، او الى حواضر «الحجاز من مكة الى المدينة» ، الا وقد مر ببلادنا بدء «ببيت المقدس» وانتهاء «بخليل الرحمن» ومن هؤلاء العلماء والرحالين من كان يطيب له المقام فيضع عصا الترحال زمنا قل او كثر ، حبا في مجاورة الانبياء ، يختار الجلوس للتدريس او لتلقي

العلوم في رحاب المدينة المقدسة ، ولعل وجود وسائل الاقامة في المدينة كالرباط والسماط ، كانت ذات اثر في استقطاب العلماء الزهاد والمتصوفة المسلمين للاقامة بجوار الحضرة الخليلية الشريفة عبر السنين ، وهذا كان من اسباب انتشاح المدينة بثوب العفاف والزهد في الدنيا والتمسك بزمام الدين عبر العصور المختلفة ، مما تتصف به الى أيام عصرنا ولو بقدر .

ان المتتبع لمصادر التاريخ والسير ، وكتب الرحالين والجوابين الذين زاروا المدينة او مروا عليها ، ليقف على ذكر عدد من العلماء والفقهاء والزهاد ممن ارتبط ذكرهم بمدينة «خليل الرحمن» ، مما يصلح دليلا على ما ذهبنا اليه من ان المدينة كانت مدينة نبوة وقداسة ، تحج اليها افئدة العرب والمسلمين من جميع الامصار ، بقدر ما كانت منارة علم اسهمت بقدر ليس باليسير في التراث العربي الاسلامي عبر الزمن ، وذلك كان سواء بسواء ، من حيث المؤلفات والمصنفات التي كتبت بأيدي علمائها ام من حيث المدارس والزوايا التي انشئت في المدينة نفسها ، او في العواصم الاسلامية الاخرى التي قدر للعلماء من اهل المدينة ان ينشئوا مدارسهم فيها ، وفي الحدود التي يسمح بها هذا المقام ، نذكر ما يكفي دليلا على مذهبنا هذا .

لقد انشأ الامام «محيي الدين ابو محمد عبد العزيز الخليلي الداري» المتوفي في مدينة دمشق عام ٦٨٠هـ المدرسة المجدية الخليلية ، وقد قام فيها بمهام التدريس زمنا ، وزاوية «الشيخ احمد القواسمي الجنيدي» ، التي انشأها صاحبها قرب زاوية «الشيخ علي البكاء» ، تلكما الزاويتان اللتان ازدهرت فيهما علوم التصوف الاسلامي ، وزاوية «الشيخ المجرد» بجوار الحرم الابراهيمي الشريف والتي انشأها صاحبها «ابو حفص عمر

المجرد» المتوفى في الخليل والمدفون في زاويته عام ٧٩٥هـ وجلس فيها لتدريس علوم الدين وخاصة علوم القراءات هو ونفر من علماء المدينة حتى صارت تعج بطلبة العلم ليس من ابناء مدينة «الخليل» فحسب، بل من سائر البلاد الفلسطينية، فضلا عن ذلك فقد يلاحظ الزائر للمدينة اليوم الكثير من الزوايا المنتشرة في انحائها، هذه الزوايا الى جانب ما اندثر عبر العصور وتعاقب الاحداث ساهمت في نشر العلوم الدينية والتراث العربي الاسلامي.

وقد قلت المدارس في المدينة بمفهوم المدرسة الان، وما كان معروفا من صنوف التدريس وخاصة للصغار، انحصر فيما عرف بالكتاتيب التي كانت اما في الزوايا او منفصلة ورغم قصورها من الناحية التعليمية، الا انها ادت دورا لا يستهان به في تعليم النشء في وقت اطبق فيه الجهل على بلادنا في ايام الحكم العثماني، ولعل اشهر المدارس التي كانت في «الخليل» في بداية هذا الحكم مدرستان، المدرسة القيمرية والمدرسة الفخرية هذا كله الى جانب رحاب الحرم الابراهيمي الشريف نفسه، الذي جلس للتدريس فيه عشرات من العلماء والمسلمين عبر الازمنة المتعاقبة، اولئك العلماء الذين طالعتنا بأسمائهم وسيرهم المصادر المختلفة، بحيث يضيق عن ذكرهم هذا البحث. ومن الادلة على ازدهار الحركة العلمية والثقافية في المدينة كثرة الرباطات(٧٧) المقامة في المدينة، وقد بلغت في وقت من الاوقات اربعة رباطات وهي: الرباط المنصوري نسبة الى بانيه السلطان «المنصور قلاوون» عام (٦٧٩هـ) ورباط الجماعيلي، ورباط الطواشي، ورباط مكي. و يضاف الى الزوايا والمدارس، المساجد المنتشرة في انحاء المدينة، تلك المساجد التي ساهمت بدور في الحياة العلمية في المدينة عبر الزمن.

واتماما للحديث حول الحركة الثقافية في المدينة، فان من المفيد التعرض لنفر من علمائها من بين عدد كبير منهم، فنقصر الحديث على اولئك الذين كان لهم الباع الاطول في اثراء العلوم الاسلامية، بما تركوه لنا من الرسائل والمصنفات في مختلف العلوم والاداب العربية الاسلامية ومنهم: امام الحرم الابراهيمي الشريف وقاضي مدينة «الخليل»، الشيخ «شمس الدين ابو عبد الله محمد التدمري»، عاش في المدينة في النصف الاول من القرن الثامن الهجري، وترك مصنفات عدة في علوم الدين. والامام العلامة «الشيخ برهان الدين ابو اسحق ابراهيم الجعبري»، كان علما في الفقه والاقراء، جلس للتدريس في الحرم الابراهيمي الشريف، ورحل اليه طلبة العلم من كل صوب ورووا عنه، ترك كتبا ومصنفات مختلفة نظما ونثرا، وقد مر ذكره في الكثير من الكتب، توفي في مدينة «الخليل» عام (٧٣٢هـ). والشيخ الامام العلامة «علاء الدين ابو الحسن علي ابن عثمان الحواري الخليلي الشافعي» اشتغل بالعلوم الدينية وخاصة في الحديث النبوي، وكتب في علم الفرائض، توفي عام (٨٣٣هـ) والشيخ «تاج الدين اسحق بن ابراهيم التدمري الشافعي»، خطيب الحرم الابراهيمي الشريف صنف كتابا بعنوان: «مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام»، توفي عام (٨٣٣هـ). و الشيخ «غرس الدين بن محمد بن احمد الازدي الخليلي»، تلقى علومه على علماء بلده وعلماء «القدس والقاهرة» ثم ذهب الى «المدينة المنورة» فجلس للتدريس فيها، وذهب الى «دمشق» وقام بالتدريس فيها ايضا الى ان توفي هناك عام (١٠٥٧هـ)، (١٦٤٧م)، وقد ترك من الكتب «كشف الالتباس في الاحاديث الدائرة على السن الناس» نثرا وما زال مخطوطا، وكتاب «اتحاف اهل الكياسة في علم

الفراسة» نظما . والشيخ «يس بن محمد غرس الدين الخليلي» ارتحل لتلقي العلوم في المدينة المنورة وفي مصر والشام ، قام بالتدريس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ترك مؤلفات منها ، «شرح على الفية العراقي في السير» وهو مطبوع في مجلدين و «شرح رياض الصالحين للنووي» وغير ذلك ، توفي عام (١٠٨٦هـ) ، (١٦٧٥م) . والشيخ حسن بن علي قويدر الازهري الخليلي ، تلقى علومه في الازهر الشريف ، فكان علما من اعلام اللغة والادب ، ترك مؤلفات منها «نيل الارب في مثلثات العرب» وقد نظم ارجوزة في الالفاظ الثلاثية وهو كتاب مطبوع وقد ترجم الى اللغة الايطالية ، وكتاب «شرح على منظومة العطار النحوية» ورسائل «زهر النبات في الانشاء والمراسلات» وما زالت مخطوطة ، وله «رسالة الاغلال في مجنون اسمه عاقل» ، وهي رسالة في الادب الساخر ما زالت مخطوطة ، وكان شاعرا فذا له الكثير من النظم لم يجمع في ديوان مستقل . ومحمد بن الشيخ احمد التميمي ، كانت ولادته في مدينته الخليل عام (١٨٢٤م) ، وكتب رواية «أم حكيم» التي تعتبر أول إنتاج في الادب الروائي في فلسطين ، ضمن آداب العربية الحديثة(٧٨).

في نهاية الحديث على الحركة الثقافية في مدينة خليل الرحمن ، نشير الى ان خمولا من درجة معينة قد لف المدينة من هذا الجانب ، في اواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي أي في اواخر الحكم العثماني وفترة الاستعمار البريطاني في بلادنا ، ولعل للمدينة عذرها لما امتازت به هذه الفترة من الظلام الذي خيم على بلادنا بأسرها ، ذلك الذي ترك بالغ الاثر الى عهد قريب .

ان المدينة بما قدر لها من الاصالة التاريخية والمكانة المرموقة ، اهلها هذا لان تواكب ركب الحضارة في مختلف العصور عبر سني عمرها

الطويل الذي عاشته شامخة رغم المحن ، واستمراراً للحركة العلمية مما اشرنا اليه أنفا ، قامت في رحاب المدينة المدارس والمعاهد العلمية ، الى ان اسست فيها جامعة الخليل عام ١٩٧١م كأول مؤسسة جامعية للتعليم العالي في فلسطين ، والمعهد الهندسي «البوليتكنيك» ، فمدينتنا بهذا لا تقل عن سائر المدن سواء الفلسطينية ام غيرها ، مما لا يعتبر طارئا على تاريخها في هذا الميدان .

كلمـــــة الختـــــام :

ختاما لهذا البحث نقول كلمة في حق هذه المدينة المقدسة ، التي تكالبت عليها المحن ، وذلك بفعل الهجمة الاستيطانية عليها وما يروج له من الادعاءات حول احقية الاسرائيليين في ملكيتها ، مما يجعل من هذا البحث شبه وثيقة تاريخية تشهد على اصالة المدينة العربية منذ نشأتها الاولى والى يومنا هذا ، رغم ما تعرضت له من احداث الغزو والاستيلاء الذي كان يستمر وقتا من الزمن لا حساب له في عمر المدينة الطويل ، ففي كل مرة كان يأتي الغازي و يروح ، وتبقى المدينة شامخة بأهلها لا يبرحون . ولعل ما تعانيه المدينة اليوم من احداث الاستيطان والاستيلاء ليعتبر واحدة من تلك المحن التي تعرضت لها المدينة كغمة لا تفتأ ان تزول ، كتلك المحن الكثيرة التي قدر لها ان تحل ثم تنتهي ، لتخرج المدينة بموقف جديد وثوب جديد عامرة بأهلها شامخة بتاريخها العربي الاسلامي المشرق .

ولكن اذا كان لابد من الرد على الادعاءات السابقة الذكر ، نقول : اننا لا ننكر اقامة اليهود فيها وعلى فترات مختلفة من تاريخها ، تماما كما لا ننكر اقامة أناس من غير اليهود فيها ، كالفرس والرومان والصليبيين وغيرهم ، علما بأن سكانها الاصليين واهلها الشرعيين من الكنعانيين الاجداد الى العرب المسلمين الاحفاد ، كانوا فيها وما غادروها يوما ، وهذا ما اثبتناه في ثنايا هذا البحث . وعليه فهل يحق لكل من غزا المدينة واقام فيها زمنا قل او كثر مع اهلها الشرعيين ان يدعي ملكيتها ؟؟ .. وان كان الامر كذلك فهل يحق للعرب ان يطالبوا بملكية بلاد فارس ، و بلاد ما وراء النهر وسمرقند ، و بلاد الاندلس

وصقلية وغيرها من البلاد التي اقام فيها العرب عبر الزمن ؟ ولكنها العنجهية الظالمة التي جعلت من القوة اداة للقهر والغلبة على امر العزل الضعفاء ، ممن لا يملكون الحول في دفع غائلة الظلم ، الا الانتظار لفرج يأتي من الله قريب ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، واحداث التاريخ التي تعرضت لها المدينة ، لهي اكبر شاهد على ذلك .

« مصـــــادر البحـــــث »

الكتـــــب العربيـــــة :

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس ، «العهد القديم باللغات ، العربية والعبرية والسريانية» .
- ابيشار ، عوديد : كتاب الخليل ـ القدس ١٩٧٠م «نقله الى العربية حمدي النوباني» .
- الاشهب ، دكتور رشدي : الحكايات والاساطير الشعبية في منطقة الخليل ، جمعية الدراسات العربية ـ القدس ١٩٨٣ ـ
- الحنبلي ، مجير الدين : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٣م ـ .
- خلف ، علي سعيد : شيء من تاريخنا ، وكالة «ابو عرفة» للصحافة ١٩٧٩م «و ـ مجموعة مقالات صحفية» .
- الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ، جـ٢/٥ ، دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٢م .
- دليل الحرم الابراهيمي الشريف ، دائرة الاوقاف الاسلامية .
- الدومينيكي ، الاب مرمرجي : بلدانية فلسطين العربية ـ بيروت ١٩٤٨م .
- طعيمه ، صابر عبد الرحمن : اليهود في موكب الحضارة ، مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٩م .
- ظاظا ، حسن «دكتور» : الساميون ولغاتهم ، مطبعة المصيري ـ الاسكندرية ١٩٧١م .
- ظاظا ، حسن «دكتور» : الفكر الديني الاسرائيلي «اطواره ومذاهبه» ، معهد البحوث والدراسات العربية / جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٧١م .
- ظاظا ، حسن «دكتور» : القدس «مدينة الله ام مدينة داود» ، مطبعة جامعة الاسكندرية ـ الاسكندرية ١٩٧٠م .
- عطية ، فخري : دراسات في سفر المزامير جـ١ ، مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة .

■ عمرو ، يونس «دكتور» : الاسرائيليات الخاصة بموسى في التراث الاسلامي رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الاداب / جامعة الاسكندرية ١٩٧٣م .
■ عوده ، غازي محمد : الاشارة في اللغة العربية «رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية ١٩٧٢م» .
■ مخول ، ناجي حبيب : عكا وقراها «من اقدم الازمنة الى الوقت الحاضر» .
■ منشورات الاسوار ـ عكا ـ
■ ولفنسون ، اسرائيل : تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ـ بيروت ١٩٨٠م .
■ ياغي ، عبد الرحمن «دكتور» : حياة الادب الفلسطيني «من النهضة الى النكبة» ، القاهرة ١٩٦٦م .

قواميس ومعاجم :

■ ابن شوشان ، ابراهيم : القاموس العبري المركز ، القدس ١٩٧٧م «باللغة العبرية»
■ ابن فارس ، احمد : معجم مقاييس اللغة ، ٥ مجلدات ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٩م
■ ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، ١٥ مجلداً ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨م
■ الزبيدي ، محب الدين : تاج العروس ، ١٠ مجلدات ، المطبعة الخيرية ـ مصر ١٣٠٦هـ .
■ الشدياق ، احمد فارس ، الجاسوس على القاموس ، مطبعة الجوائب ـ القسطنطينية ١٢٩٩هـ .
■ عبد الباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار ومطابع الشعب ـ القاهرة ـ .
■ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد : القاموس المحيط ، ٤ مجلدات ، دار الجيل ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان .
■ قوجمان ، يحزقيال : قاموس عبري ـ عربي ، تل ابيب ١٩٧٠م .
■ كوستاز ، الاب لويس : قاموس سرياني ـ عربي ـ بيروت .

الكتب الاجنبية :

Collins Concise Encyclopedia, Great Britain , 1974 .
The Encyclopedia of the Bible, Prentice-Hall, New Jersey 1965.
The family Bible Dictionary, Avenel Books , New York .
Glazerson , M. : Sparks of the Holy Tongue Johannesburg , South Africa , 1975 .
Grayzel , S. : A History of the Jews U.S.A. 1968 .
Hammond , Ph. : Ancient Hebron , the City of David
The Natural History Magazin , U.S.A.1966 .
The New English man's Hebrow and Cheldee Concordance , Associated Publisher's and Authors Wilmington Delawar , 1975 .
Simpson , D.P. : Cassell's New Latin-English , English-Latin Dictonary , Cassell - London , 1968 .
Smith , Homer W. : Man and his Grods , Grosset's Universal Library , New York , 1956 .
William Gesenius : Hebrew and English Lexiconof the Old Testment, Translated from Germ . by Edward Robinson, Oxford, Clarendon Press 1974 .

الهوامش

١ ـ The Encyclopedia of the Bible . Item , Palestine.

٢ ـ جبل جلبوع . مكان يقع في الشمال الشرقي من فلسطين وهو المكان الذي قتل فيه الفلسطينيون شاؤول ملك اسرائيل وبنيه وهو ربما يقع بالقرب من بيسان ، هذا حسب ما ورد في ـ موسوعة التوراة ـ .

٣ ـ الـ.لـ.ف : جمع ، مفرده الخلف وهو غير المختون ، وهذا اشارة الى ان الفلسطينيين ما كانوا ياخذون بعادة الختان مما يعتبر نقيصة فيهم من وجهة نظر الاسرائيليين .

٤ ـ هكذا وردت في الاصل ، والصواب ان يقال : يطعنونني و يقبحونني .

٥ ـ هذه المدينة كانت عاصمة لمملكة باشان الفلسطينية الكنعانية والتي تقع اراضيها على الضفة الشرقية لبحيرة طبرية بمحاذاة نهر اليرموك ومن اشهر ملوكها الملك عوج ، وحسب ما ورد في التوراة «عدد ٣٣ـ٢١/٣٥» فقد حارب ملكها بني اسرائيل في زحفهم على ارض كنعان ، انظر حول ذلك :

The Encyclopedia of the Bible, Item : Ashtarot, Bashan

٦ ـ بيت شان : وهي مدينة بيسان الواقعة في شمال فلسطين جنوبي بحيرة طبرية واسمها كنعاني بمعنى بيت الراحة وذلك لانها كانت نهاية الطريق الفلسطينية للراغب في العبور شرقا من نهر الاردن .

٧ ـ سفر صموئيل الاول «٤٩ ، ٥١ / ١٧» .

٨ ـ انظر : سفر القضاة «٥ / ١٥» .

٩ ـ انظر الخريطة التي اوردتها موسوعة التوراة تحت مادة كنعان «Canaan» .

١٠ ـ الاية ٢٥١ من سورة البقرة .

١١ ـ انظر ص ١٣،١٤ من هذا البحث .

١٢ ـ مدينة فلسطينية تقع في الشمال من ارض كنعان .

١٣ ـ هذه العين هي عين جالوت والتي تعرف بعين جالود اليوم ، وتقع بالقرب من مدينة جنين الى الشمال الشرقي على اطراف سهل مرج ابن عامر الذي يذكره العهد القديم بسهل يزرعئيل .

١٤ ـ يزرعئيل : هو اسم السهل الذي يقع في شمالي فلسطين و يعرف باسم سهل مرج ابن عامر و يعتبر من اخصب سهول فلسطين .

١٥ ـ اخيش : احد ملوك الفلسطينيين ومملكته كانت في مدينة جت شمالي فلسطين وقد اختبأ عنده داود حين فر من وجه الملك شاؤول ملك الاسرائيليين الذي قتل وتولى الملك من بعده داود ، وجت ما زالت الى يومنا تعرف بنفس الاسم وهي من اعمال عكا وتقع على بعد «١٥ كم» الى الشمال الشرقي منها .

١٦ ـ سبقت الاشارة الى هذا الاسم وسبب اطلاقه على سكان واراضي فلسطين في هذا البحث ، انظر ص ٩

١٧ ـ سكنت هذه الاربع قبائل في منطقة بيت عينون . ومنطقة المرطوم «بئر حرم الرامة اليوم» ومنطقة ممرا او نمرا . ومنطقة وادي قنا ، او وادي اشكول «بمعنى وادي عنقود» تلك المنطقة التي اشتهرت بزراعة الكرمة التي اشتهرت بها المدينة عبر تاريخها الطويل ، وربما كان هذا الوادي هو الوادي نفسه الذي يقع في الناحية الغربية من المدينة مما يعرف اليوم بوادي التفاح ، ووادي سبته .

١٨ ـ انظر : اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ـ بيروت سنة ١٩٨٠م ، ص ٧٩ .

١٩ ـ المرجع السابق .

٢٠ ـ سفر التكوين «٣٦ ـ ٢٩ / ٣٢» .

٢١ ـ انظر ص ١٨ من هذا البحث .

٢٢ ـ الاية ١٢٥ ـ من سورة النساء .

٢٣ ـ جدير بالاشارة الى ان هذا ورد بروايات مختلفة في كتب مختلفة ، والذي يعنينا هو ذكره لمدينة الخليل بالاسم حبرون فضلا عن وجود صور اخرى لكتب تذكر اسمها حبرى ، و يبدو ان هذا الاسم كان قد ضعف اصطلاحه لتنحسر شموليته عن ارض بيت عينون والمرطوم و بيت ابراهيم «منطقة الحرم» او ربما كان السبب في ذكر التفصيل لتشمل الاراضي حتى لا يكون هناك مبرر للمعارضة او التلاعب في القول . ولا مجال لاحصاء المراجع التي ذكرت هذا الكتاب او علقت عليه في مختلف العصور ونظرا لضيق المقام ولمن يرغب في الرجوع اليها فهي كثيرة . والرواية التي ذكرناها اوردها الامام احمد بن يحيى العمري في كتابه «مسالك الابصار في ممالك الامصار» ونقلها عنه صاحب بلدانية فلسطين العربية ص ٧٣ ،

٢٤ـ هذه على لغة اهل اليمن ، ولذلك اذا سكنت العين وجاورتها الطاء لاحقة لها تقلب دونا وقد اخذ بهذه اللغة اهل يثرب ، وهناك قراءة ضعيفة : «انا انطيناك الكوثر» وقد وجدت في المعاجم بهذا المعنى وهذا الرسم اعطى وانطى ، ذكرت هذه الملاحظة لما سمعته من ثلاثة بعض انصاف المتعلمين في اللغة ، ان هذا القول من عدم الفصاحة مما يخالف فصاحة علي كرم الله وجهه كاتب هذا النص .

٢٥ـ هكذا وردت في النص والصواب ان يقال ابن ابي قحافة .

٢٦ـ انظر : مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين ، جـ٢/٩ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٢م .

٢٧ـ المرجع السابق ، ص ١٠ .

٢٨ـ انظر العبارتين : «٢١ ، ٢٢ من الاصحاح ١٣»

٢٩ . اسم لبرية تقع الى جنوب ارض كنعان على اطراف صحراء سيناء ، كانت ضمن الاماكن التي عسكر فيها بنو اسرائيل في تيههم ايام الخروج .

٣٠ـ رحوب وحماة : اماكن لم استطع لها تحديداً فيما اوتيت من ادوات البحث ، ولكن رحوب يبدو انه اسم لسوق بدوي متنقل ، حسب موسوعة التوراة ، اي انه ليس مكانا ثابتا .

٣١ـ هؤلاء كانوا امراء مملكة العناقيين من الكنعانيين والذين كانت عاصمة ملكهم مدينة الخليل «حبرون» وهم الذين لم يستطع بنو اسرائيل حربهم ايام التيه .

٣٢ـ بلدة صوعن ، تقع على الطرف الشمالي الشرقي لدلتا النيل بناها الفرعون رعمسيس وعرفت فيما بعد بصان الحجر في فترة الخروج ، ثم عرفت بتنيس في المصادر اليونانية اللاتينية .

٣٣ـ فيليب هموند : عالم في الاثار من جامعة يوته الامريكية ، قام على راس بعثة اثرية باجراء حفريات في جبل الرميدة في مدينة الخليل ، وعلى فترات متقطعة الى ان توقفت حفرياته عام ١٩٦٧م ، وقد نشر مقالاته في مجلات مختلفة اهمها مجلة : The Natioural History Mag التي تصدر في الولايات المتحدة الامريكية

٣٤ـ المكابيون : هم الذين حملوا لواء الدفاع عن اليهود وشريعتهم في فلسطين في فترة حكم السلوقيين اليونان «احفاد سلوقس احد قادة الاسكندر» في الشام بعد

ان تغلبوا على الفرس وقضوا على ملكهم في هذه البلاد ، هذا بالنظر لما عرف من ولاء اليهود للفرس وتبعيتهم حين مهدوا لهم احتلال الشام ومصر مقابل العودة الى فلسطين من المنفى في ارض العراق ايام نحميا وعزرا ، هذا الولاء الذي جلب لهم الويل من قبل اليونان بعد تغلبهم على الفرس كما ذكرنا ولقد حمل هذه الاحداث سفران من التوراة اليونانية ، عرفا بسفري المكابيين الاول والثاني . والاسم مكابي الى جانب الخلاف بين الباحثين حول الشخصية الاولى التي عرفت به ، هناك خلاف حول معناه ، فمنهم من ذهب الى انه تحريف للفظ «مقبي» بمعنى المطرقة ، لقب به احد زعماء اليهود لما كان يلحقه باعدائهم من الضربات ، وراي آخر مفاده ان الاسم ، انما هو اختصار في الحروف الاولى للكلمات التي شكلت العبارة الواردة في نشيد انتصار موسى على فرعون التي تقول : «من كمثلك بالالهة يا رب» «خروج ١١/١٥» وان هذه الحروف «م.ك.ب.ي» قد نقشت على خاتم قائد المكابيين ، واراء اخرى كثيرة يضيق المقام عنها ، ويمكن الوقوف عليها بتفصيل اكثر في الصفحات ٦٦ـ٧٠ من كتاب الفكر الديني الاسرائيلي ، اطواره ومذاهبه ، للدكتور حسن ظاظا منشورات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة عام ١٩٧١م .

٣٥ـ شاليم : اسم مدينة القدس قديما على عهد اليبوسيين ، بمعنى السلام .

٣٦ـ سفر التكوين «١٨ ، ١٩ / ١٤» .

٣٧ـ من هناك : اي عائداً من مصر .

٣٨ـ قادش وشور مكانان على اطراف صحراء سيناء في الحد الفاصل بينها وبين صحراء النقب الفلسطينية .

٣٩ـ سفر التكوين «١ / ٢٠» .

٤٠ـ نسبة الى صاحب هذا المكان ، وهو رجل من الاموريين اسمه ممرا وقد حرف فلفظ بالنون بدلا من الميم .

٤١ـ معنى هذا الاسم بالعربية الان السيدة او الاميرة وهو مؤنث للمذكر سار بمعنى السيد او الامير .

٤٢ـ عفرون بن صوحر الحثي : عفرون معناه في الكنعانية اليهودية الغزال الوليد والحثيون من الساميين موطنهم الاصلي في المنطقة الواقعة بين شمال فلسطين وجنوب لبنان .

٤٣ـ سفر التكوين «٢٣ ـ ٩ / ٢٣» .

٤٤ـ سفر الخروج «١٩/١٣»
٤٥ـ سفر التكوين «١٨/١٣»
٤٦ـ المصدر نفسه ١/١٨
٤٧ـ المصدر نفسه ٦/١٨
٤٨ـ حسب ما ذهب اليه الباحثون فان رحيل ابناء يعقوب مع يوسف الى مصر كان في فترة احتلال الهكسوس اولئك الغزاة الرعاة من الاسيو بين لمصر في الفترة ما بين «١٨٠٠ ـ ١٥٨٠ ق.م» وذلك مما ذكر هومر سميث في كتابه الانسان والاديان «ص ٨٩». وتجدر الاشارة الى ان هؤلاء كما يبدو كانوا قد ساعدوا المحتلين الهكسوس ضد المصريين في عملية الاحتلال، وهذا في حد ذاته يصلح لان يكون سببا في انتقام المصريين من بني اسرائيل بالذبح والاستعباد واستحياء النساء لقاء تعاملهم مع الغازي المحتل الهكسوسي حين حرر المصريون بلادهم وطردوا الغزاة عنها، ولعل هذا ما اشار اليه النص القرآني حين جاء القول الالهي دقيقا الى درجة متناهية، يذكر حكام مصر بلقب «فرعون» في جميع المواضع التي ذكرت مصر فيها في القرآن الكريم الا في سورة يوسف حين ذكرت، وذكر حاكمها بلقب «الملك» في الايات: «٤٣،٥٠،٥٤،٧٢،٧٦» هذا اذا علمنا ان اللقب «ملك» انما هو لقب اسيوي للحاكم.
٤٩ـ انظر: Homer W. Smith : Man and his Gods, pp. 88-90
٥٠ـ اسحق: اسم بمعنى الضاحك ولذلك تيمنا به لانه ولد لابو يه في الياس.
٥١ـ رفقه: بالعبرية «ربقة» لفظت الباء فاء حسب عادة النطق للباء في هذا الموضع، وهذا الاسم يعني الرباط او القيد.
٥٢ـ يعقوب: هذا الاسم يعني العوض.
٥٣ـ ليئة: حرف هذا الاسم في العربية فصار «لائقة» وهو في اصله كنعاني يدل على البقرة الوحشية.
٥٤ـ انظر: دكتور حسن ظاظا، القدس مدينة الله ام مدينة داود، ص ٩. مطبعة جامعة الاسكندرية ـ الاسكندرية ـ سنة ١٩٧٠م.
٥٥ـ الشعب: المقصود سكان بلادنا الذين مر ذكرهم في النص.
٥٦ـ سفر العدد، الاصحاح ١٣، الفقرة ٢١ والى نهاية الاصحاح.
٥٧ـ انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٢/٥ ص ٥١.

٥٨ـ سفر صموئيل الثاني، من الفقرة (٥) الاصحاح الخامس.
٥٩ـ سفر صموئيل الثاني، الاصحاح الخامس عشر وما بعده.
٦٠ـ سفر صموئيل الثاني، من الفقرتين ٦،٥ من الاصحاح الخامس.
٦١ـ الحير كلمة عربية تدل في الاصل على التجمع والدوران، فقولك تحير الماء اذا تجمع الماء ودار. ومن ذلك الحائر حوض الماء يصب فيه مسيل مياه الامطار فتطوف حوامات الماء وتدور. ومنه الحير: شبه الحظيرة او الحمى، ولا يكون ذلك الا لمكان محرم بحاجة للحماية والرعاية. وسمي السور حول الغار الشريف بهذا الاسم، لانه حمى لمكان محرم وهو الغار الذي يعتبر مقبرة تضم في جنباتها مدافن الانبياء الاجلاء وازواجهم عليهم افضل السلام، هذا خلافا لما ذهب اليه بعض الباحثين من ان الكلمة «حير» انما هي آرامية.
٦٢ـ انظر البحث، ص ٣٧
٦٣ـ انظر البحث، ص ٢٨
٦٤ـ انظر: دكتور حسن ظاظا، الفكر الديني الأسرائيلي، ص ٧٨ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية القاهرة ـ سنة ١٩٧١م وانظر:
The Encyclopedia of the Bible , Item , Herod .
٦٥ـ انظر: Ibid . Item , Hebron , Macphelah .
٦٦ـ انظر البحث، ص ٢٥،٢٦ وما بعدها.
٦٧ـ انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٢/٥، ص ٤٠،٥٣،١٩٧،٢٩٩،٣٢٠.
٦٨ـ انظر: البحث، ص ٤٣
٦٩ـ خربة تقع ضمن اراضي قرية بني نعيم من اعمال مدينة الخليل.
٧٠ـ انظر: مصطفى مراد الدباغ بلادنا فلسطين «٥،٦٠» وما بعدها، وقد نقل عن عدة مراجع.
٧١ـ انظر: المرجع السابق، ص ٦٢.
٧٢ـ انظر: الحنبلي «مجير الدين»، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل في اكثر من موضع ـ دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

٧٣ـ انظر البحث ، ص ٢٩

٧٤ـ انظر البحث ، ص٣٤،٣٥

٧٥ـ انظر اكثر من مادة في :. The Encyclopedia of the Bible

٧٦ـ انظر البحث ، ص ٣٥)وما بعدها .

٧٧ـ الرباط: اسم مشتق من المادة العربية «ربط» التي ارتبطت في المفهوم الاسلامي بالجهاد استناداً الى ما جاء في محكم التنزيل من قوله تعالى : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» «آية ٦٠ من سورة الانفال» ، وقوله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» «آية ٢٠٠ من سورة آل عمران» ، اي ان هذا المكان كان مختصا باستقبال الزوار والرحالين والجوالين كل وما ارتحل من اجله ، وخاصة طلبة العلم فقد كانوا يرابطون فيه و يتلقون كل رعاية من منامة وطعام على حسبة السماط التابع لسدنة الحرم الابراهيمي الشريف .

٧٨ـ د. عبد الرحمن ياغي : حياة الادب الفلسطيني «من النهضة الى النكبة» القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١ .

فهرس الاعلام والاماكن

ابراهيم وابرام : ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٩ .

ابرشيه : ٤٦ . ابشالوم : ٣٧ ابن فارس : ٢٢ . ابو حفص عمر المجرد : ٥١ . ابو سعيد سنجر الجاولي : ٤٠ . ابو مالك : ٤٩ . ابينا داب : ١٣ . الاتراك العثمانيون : ٤٩ . احمد القواسمي : ٥١ . اخناتون : ٣٤، ٤٩ . اخيش : ٢٧ . ادوم : ٢٨ . الادوميون والادوميين : ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٩ . الاراميون والاراميين : ١٧ . اربع : ١٧ . الاردن : ١٤، ٣٧، ٤٤ . اسحق : ٢٠، ٣١، ٣٣، ٣٤ . اسرائيل : ١٣، ١٤، ٢٠، ٢١، ٣٨ . اسرائيل ولفنسون : ١٩، ٢٠، ٢١ . الاسكندر : (هامش رقم ٣٤) . اسماعيل : ٤٤ . آشور : ٢٤ ، ٢٧ . الاشوريون والاشوريين : ١٧ . افيق : ١٦ . ام الجرار : (انظر جرار) . الاموريون والاموريين : (هامش رقم ٤٠) ، ٣٥ . الاموريون والاموريين : ٤٥ الانباط : ٤٢ . الاندلس : ٥٠، ٥٧ . اور : ٢٠ . اورشليم : ٣٧، ٣٨ . بابل : ١٧ . باشان : (هامش رقم ٥) . البحر الابيض المتوسط : ١٠، ١٦، ٢٧ . البحر الميت : ٢٧، ٢٨ . بخارى : ٥٠ . بدر الجمال : ٤٧ . برهان الدين الجعبري : ٥٣ . برية ضين : ٢٧ . البصرة : ٥٠ . بغداد : ٥٠ . بلاد فارس : ٥٧ . بلاد ما وراء النهر ٥٧ بنو حث : ٣٠ . بنو عناق : ٢٧، ٣٥ . بنيامين : ٣٤ . بني نعيم : (هامش رقم ٦٩) . بئر حرم الرامة : (هامش رقم ١٧) . بئر السبع ٢٩، ٤٧ . بيت جبرين : ٤٦ بيت شان و بيسان : ١٤، ١٦ . بيت عشتاروت : ١٤ . بيت عينون : ٢٥ .

ـ ت ـ

تاج الدين التدمري الخليلي الشافعي : ٥٣ . تل العمارنة : ٣٤، ٤٩ . تلماي : ٢٧ . تميم الداري : ٢٥، ٢٦، ٤٤ . تنيس (هامش رقم ٣٢) .

- ج -

جالوت وجوليات : ١٤،١٦،٣٧ . الجامع الجاولي او المسجد الجاولي : ٤٠،٤٥ . جامعة الخليل : ٥٥ . جبل الاقصى : ٤٥ . جبل جلبوع : ١٤ . جبل الرميدة : ١٨،٢٧ . جبل المكبر : ٤٤ . جت : (هامش رقم ١٥) . جذام : ٤٤ . جرار : ٢٩ . الجزيرة والجزيرة العربية : ٢٠،٣٤،٤٤ . جيزنيوس : ٢٢ . جيمس جورج فريزر : ١٠ . حبرون . حبرى ، وحبران : ١٧،١٨،٢٢،٢٤،٢٥،٢٧،٢٩،٣٤،٣٥،٣٦،٣٧،٤٤ . الحثيون والحثيين : (هامش رقم ٤٢) ، ٣٥ . الحجاز : ٥٠ . الحرم الابراهيمي ، حرم الخليل والحرم الشريف : ٣٢،٣٩،٤٥،٤٦،٤٧،٤٨،٤٩،٥٠،٥٢،٥٣ . حرم الرامة : ٤١،٤٢ . الحروب الصليبية : ٤٦ . حسن بن علي قويدر : ٥٤ . حلب : ١٧،٥٠ . حلحول : ٢٦ حماه : ٢٧ . الحير : ٣٩،٤٠،٤١،٤٢،٤٣ .

- خ -

خان يونس : ٢٩ .

- د -

الداريون : ٤٤ . داود : ٤،١٤،١٦،٣٧،٣٨،٥٠ . داود بن عيسى : ٤٧ دكة المؤذنين : ٤٧ دلتا النيل : (هامش رقم ٣٢) . دمشق : ٤٥،٥٠،٥٣ . دورا : ٤٧ .

- ر -

راحيل : ٢٤ . الرباط والرباطات : ٤٨،٥١،٥٢ . رحوب : ٢٧ . رعمسيس : (هامش رقم ٣٢) ، ٣٥ . رفقة : ٣٤ . الرومان والرومان البيزنطيون : ٢٦،٤٢،٤٣،٥٧ .

- س -

سارة : ٢٩،٣٠،٣١،٣٣،٤١،٤٥ . سام بن نوح : ٩ . سعير : ٢٦ . سلوقس : (هامش رقم ٣٤) . السلوقيون والسلوقيين : (هامش رقم ٣٤) . سليمان : ٤١،٤٢ . السماط : ٤٨،٥١ . سمرقند : ٥٠،٥٧ . سهل يزرعئيل : (هامش رقم ١٣) ، ١٦ . سوريا : ٣٤ . سيناء : ١٩ .

- ش -

شاؤول : ١٣،١٤، (هامش رقم ١٥) . شاليم : ٢٩،٣٥ . الشام وبلاد الشام : ٩،١٠،١١،٤٣،٤٤،٤٥،٥٤ . شمس الدين التدمري : ٥٣ . شور : ٢٩ . شوقي (احمد) : ٣٠ . شيشاي : ٢٧ .

- ص -

صقلية : ٥٨ . صلاح الدين الايوبي : ٤٦،٤٧ . الصليبيون والصليبيين : ٤٦،٤٧،٥٧ صوعن ، صوعن مصر او صان الحجر : ٢٧ .

- ظ -

الظاهر بيبرس : ٤٧،٤٨ . الظاهرية : ٤٧ .

- ع -

العراق : ٢٠،٣٤،٤٥ . عزرا : (هامش رقم ٣٤) . عسقلان : ٤٦ . عفرون بن صوحر : ٣٠ . علاء الدين الحواري الخليلي : ٥٣ . علي البكاء : ٥١ . العماليق والعمالقة : ٣٥ . عناق والعناقيين : ١٧،٣٦ . عوج : (هامش رقم ٥) . عيسى بن محمد : ٤٧ . عين جالوت او جالود : ١٦،٤٧ .

- غ -

الغار والغار الشريف : ٣٠،٣١،٣٢،٣٤،٤٠،٤١،٤٢ . غرس الدين الازدي الخليلي : ٥٣ . غرناطة : ٥٠ .

- ف -

الفرس : ٤٣،٤٥،٥٧ . فرعون : (هامش رقم ٤٨) ، ٢٩ . الفرنجة : ٤٦،٤٧ . فلسطين : ٥،٩،١٠،١١،١٤،١٥،١٦،١٩،٢٠،٢١،٢٨،٢٩،٣٢،٣٤،٤٣،٤٤،٤٥،٤٦،٤٧،٥٤،٥٥ . الفلسطينيون والفلسطينيون : ١٣،١٤،١٥،١٦،٢٩،٣٧ . فليستا : ٩ .

- ق -

قادش : ٢٩ . القاهرة : ٥٠،٥٣ . القدس الشريف وبيت المقدس : ٥،٢٦،٢٩،٣٥،٣٧،٤٤،٤٥،٤٦،٤٩،٥٠،٥٣ . قرطبة : ٥٠ . قرية اربع : ١٧،٢٤،٢٥ . قطز : ٤٧ . قلعة القديس ابراهام وسانت ابراهام : ٤٦ . قلاوون : ٤٨،٥٢ . القيروان : ٥٠ .

- ك -

كالب بن يفنة : ٣٦ . الكرك : ٤٧ . الكرمل : ١٥ . كريت : ٩ . كفر بريك : ٤٧ . كنعان : ٩،٢٠،٢١،٢٩،٣٤،٣٥،٤١ .

- ل -

لبنان : (هامش رقم ٤٢) . لخم : ٤٤ . لوط : ٣٣ . ليئة : ٣٤ .

- م -

مالكي صادق : ٢٩،٤٩ . محمد صلى الله عليه وسلم : ٢٥،٤٣،٤٤،٤٥ . محمد ابن الشيخ احمد التميمي : ٥٤ . محي الدين الخليلي : ٥١ . المدرسة الفخرية : ٥٢ . المدرسة القيمرية : ٥٢ . المدرسة المجدية : ٥١ . مدين : ٢١ . المديانيون والمديانيين : ٤٩ . المدينة والمدينة المنورة : ٥٠،٥٣،٥٤ . مرج ابن عامر : ١٦ . المرطوم ٢٥ . المستنصر بالله (الخليفة الفاطمي) : ٤٧ . المسجد الجاولي : ٤٠ . مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) : ٥٤ . مسجد اليوسفية : ٤٠ . المسيح : ٤٢ . المسيحيون والمسيحيين : ٤٨ . مشهد الاربعين : ٢٧ . مصر : ١٩،٢٠،٢١،٢٩،٣٢،٣٤،٣٧،٤٣،٤٥،٤٧،٤٩،٥٤ . معركة حطين : ٤٦ . المعهد الهندسي (البوليتكنيك) : ٥٥ . المغول : ٤٧ . المقدر (الخليفة) : ٤٥ . المكابيون والمكابيين : ٢٨،٤٢ . المكفيلة ومغارة المكفيلة ٣٠،٣٢،٣٤ . مكة : ٥٠ . ملكيشوع : ١٣ . المماليك : ٤٧،٤٨،٤٩ . ممرا او نمرا : (هامش رقم ١٧) ، ٢٩،٣٣ . المهدي (الخليفة) : ٤٥ موسى عليه السلام : ١٩،٢١،٣٢،٣٥،٣٦،٥٠ .

- ن -

نابلس : ٣٢ . نحميا : (هامش رقم ٣٤) . النصارى : ٤٨ . النقب : ١٥،٢٩ . نوح عليه السلام : ٢٩،٤٩ .

- هـ -

هرون : ٣٥ . الهكسوس : (هامش رقم ٤٨) ، ٣٤ . الهلال الخصيب : ٩ . هموند (فيليب) : ٤، ٢٨، ٣٥، ٣٨، ٣٩ . هومر سميث : ١٠، (هامش رقم ٤٨) . هيرودوس الكبير : ٤٢ .

- و -

وادي التفاح : (هامش رقم ١٧) . وادي سبته : (هامش رقم ١٧) . وادي عربه : ٢٨ . وادي قنا او اشكول : (هامش رقم ١٧) .

- ي -

يافا : ١٦ . اليبوسيون واليبوسيين : ٣٥، ٣٧، ٣٨ . اليرموك : (هامش رقم ٥) . يسن بن محمد الخليلي : ٥٤ . يعقوب : ١٩، ٢٠، ٢١، ٣١، ٣٤، ٤٠، ٤٥ . اليهود : ١٦، ٤٨، ٥٧ . يهوذا : ٣٧، ٣٨ . يوسف : ٢٠، ٣٢، ٣٤، ٤٠، ٤٥ . يوشع بن نون : ٣٦ . يوناثان : ١٣ . اليونان : (هامش رقم ٣٤) .

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحات
تصدير	٣
المقدمة	٧
- فلسطين «اصل اللفظ ومعناه»	٩
حبرون ام الخليل الرحمن	١٧
- المدينة من والى اين ؟	١٧
- الحرم الابراهيمي الشريف	٣٠
- الحركة الثقافية في مدينة الخليل عبر العصور	٣٩
كلمة الختام	٤٩
مصادر البحث	٥٧
- الكتب العربية	٥٩
- قواميس ومعاجم	٥٩
- الكتب الاجنبية	٦٠
الهوامش	٦١
فهرس الاعلام والاماكن	٦٩
ثبت المحتويات	٧٥